



القضاة والنواب

١

صحيفة من تاريخ القضاء

تري الناس على اختلاف مذاهبهم وغنهم وأجناسهم مجمعين على انتقاد أعمال القضاة والنواب شاكين كل حين من ظنهم وغدرهم على أن العدل والأمن والراحة العامة وتأمين الحقوق في أيديهم وحياة الأمة وعمران الوطن وسعادته تتوقف على إصلاحهم فهم على ما هم عليه من المكان من حيث الدين والدنيا نرى أكثرهم كانوا من أكبر المخربين في هذا المجتمع الإنساني وقد تيسر لي اختبار أعمالهم وأفعالهم فرأيت أن أكتب شيئاً عنهم غير أنني لم أقدم عليه قبل الرجوع إلى أمهات الكتب الدينية والوقوف على حقائق هذا المنصب العظيم.

وقد أنشأت هذه المقالات بعد أنم طالعت مقدمة ابن خلدون وحاشية ابن عابدين وتكلمته والأشباه والأحكام السلطانية وتاريخ الطبري وتاريخ الكامل لابن الأثير ورحمة

الامة في اختلاف الأئمة والميزان للشعرايين وسراج المنوك وغيرها ولعلك أرجو من وجد غرابية في بعض أقوالي أن يرجع إلى هذه الكتب المهمة.

القضاء

القضاء لغة: الحكم ويحيى بمعنى الفراغ والأداء وأما القضاء شرعاً فهو فصل الخصومات وقطع المنازعات غير أنه مظهر للأمر الشرعي لا مثبت.

كان النبي صلى الله عليه وسلم وحياً يوحى لا ينطق عن الهوى ولذلك لم يكن قضاءً في زمانه وفي مقر نبوته لأنه كان يأتي بالحكم أو يحكم مثلنا يوحى إليه غير أنه عليه السلام لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن أرسله إليها عاملاً وقاضياً وبعث عنيماً إلى جهة اليمن عاملاً وقاضياً فكان أمر القضاء متمزجاً مع الإمارة في زمان النبوة ولما صار أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة قال له أبو عبيدة أنا أكفيك المال يعني الجزاء وقال عمر أنا أكفيك القضاء فكث سنة ولم يخاصم إليه أحد فكان عمر أول قاضٍ في المسلمين.

ولما تولى الخلافة أدرك أن توسع أمر الفتح وكثرة الاشتغال بالسياسة يؤخره عن القيام بالقضاء ولى أبا الدرداء معه في المدينة وولى شريحاً في البصرة وولى أبا موسى الأشعري بالكوفة وكتب له كتابه المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاة وهي مستوفاة وفيه يقول:

أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدي إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له واسٍ بين الناس في وجهك وعدلك حتى لا يطع شريف في حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك على من ادعى واليمين على من أنكر والصالح جائز بين المسلمين إلا صنحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً ولا يمنع قضاء قضيتك أمس فراجعت اليوم فيه عقلت

وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التصادي في الباطل الفهم الفهم فيما تنلج في صدرك مما بيس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الأمثال والأشياء وقس الأمور بنظائرها واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمدأ ينتهي إليه فإن أحضر بينة أخذت له بحقه وإلا استحلت القضية عليه فإن ذلك أنفى لنشك وأجنى للعناء. المنون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنياً في نسب أو ولاء فإن الله سبحانه عفى عن الإيمان ودرأ بالبيات وإياك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم فإن استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذكر والسلام.

القضاء في الدولة العثمانية

٣

كان السلطان عثمان الغازي مؤسس هذه الدولة ورعاً دينياً يستخدم قضاءً وحكاماً للنظر في الأمور الشرعية والقيام بأحكامها ولما تولى الملك ابنه أورخان الغازي طلب من الشيخ علاء الدين الأسودى رجلاً يقوم بمصالح الناس الشرعية في أسفاره فأوصاه بقره خليل أفندي جنوره لي فاتخذ قاضياً لبروسة عاصمة مملكته ثم جعله قاضياً على العسكر وخصه بأمورهم ولما آنس منه اختباراً في السياسة استوزره وسماه خير الدين باشا ونصب رستم أفندي مكانه قاضياً للعسكر.

وفي زمان السلطان بايزيد الأول تولى العالم محمد شمس الدين أفندي منصب الفتيا في قاعدة السلطنة للنظر في الأمور الشرعية وجمعها في مركز واحد فأصبح المفتي ناظراً عاماً على جميع العلماء والقضاة والمدرسين وقد بدأ تنظيم مراتب العلماء الحالية ونظامهم في

زمان محمد الفاتح على أنه لم يكن حتى في آخر زمانه سوى قاضي واحد للعسكر ولما كثرت الأعمال قسم القضاة على قسمين فصار قاضي عسكر للروم ايلى وقاضي عسكر للأناضول وجعل الفاتح جلال زاده خضر بك قاضياً على استانبول ومفتياً في مركز السلطة وذلك عقيب فتح الأستانة.

وبعد حين تولى العالمان الشهيران ابن كمال باشا وأبو السعود أفندي منصب الفتيا بعدما كانا قاضيين للعسكر ثم أخذ يطلق على منصب الإفتاء مقام المشيخة الإسلامية وأصبح منصب الإفتاء فوق منصب قاضي عسكر الروم ايلى وقاضي عسكر الأناضول وجعلت له رئاسة الطرق العلية ونظارة المحاكم الشرعية وأصبح مقام شيخ الإسلام معادلاً لمقام الصدارة العظمى وصار يقال لشيخ الإسلام (ولي النعم) وعدامر المعارف والعدل من حقوق مقام المشيخة وأخذ طلبة العلوم عندما ينجزون دروسهم على الطريقة القديمة يقيدون أسماءهم في جريدة الدولة فيغدون قضاة.

ولم تكن مناصب قاضي عسكر وقضاة استانبول وقضاة أدرنه توجد إلا على أكبر المدرسين ومنتهى رتب التدريس رتبة المولوية بيد أن هذه الوظائف كانت مقرونة بالعمل والقاعدة أن يناها المرء بحسب قدمه ولكن قوة الوساطة والشفاعة والرشي صارت تؤهل الجاهل لبلوغ تلك المناصب فدخل الفساد فيها حتى أصبح القضاء ألوية بأيدي البحارة وصعاليك الناس وانشأ من ينال شهادة الملازمة بوسائط غير مشروعة يصل بها إلى القضاء. وكان قاضي استانبول أكبر مأمور شرعي بعد قضاء العسكر وله النظر في أمور البلدية وشؤون أرباب التجارة والحرف.

قلنا أن أحكام العدل كانت من وظائف مقام المشيخة وأن الدعاوي تنظر في المحاكم الصغرى وأما الدعاوي الكبرى فينظر فيها أمام قاضي عسكر وكان الديوان الهسايوي بمنزلة محكمة كبرى فوق المحاكم ينظر في أمور الدولة والأمور الشرعية معاً ثم تغيرت صورة هذا الديوان وانفردت أمور الدولة عن مصالح الرعية فأخذ القاضيان يجتمعان في غرفة العرض مرتين من كل أسبوع وينظران في الدعوى التي تعذر حلها في المحاكم الصغيرة وكان يقال لهذا المجلس (حضور مرافعه سي)

وأصبح هذا المجلس في سنة ١٢٥٤ يلتئم بحضور شيخ الإسلام وفي عهد المرحوم عبد الجيد لما كان عارف أفندي شيخ الإسلام غدا انتخاب تحت نظام وفتح مكتب النواب عام ١٢٧٢ وشرط أن يكون النائب من متخرجي هذه المدرسة وفي سنة ١٢٧٤ تألف مجلس التدقيقات الشرعية وأصلح في سنة ١٢٨٩ وأصبح تدقيق الصكوك والاعلامات من وظائف باب الفتوى.

وبعد ذلك انقسم متعلمو الشريعة إلى قسمين الأول للفتوى والثاني للقضاء وصار في مركز كل ولاية ولواء وقضاء مفت وغدا المفتي مرجعاً لحل الأمور الشرعية وعد شيخ الإسلام المفتي الحقيقي وشرط في الإفتاء أن لا تعطى الفتوى لأرباب المصالح قبل تصديق شيخ الإسلام عليها وأما أمر القضاء فأمره لشيخ الإسلام يتولاه من السلطنة أو مقام الخلافة غير أن مجلس انتخاب المحاكم ينتخب المحكام وشيخ الإسلام يصادق عليه عند تعيينهم ذيله ثم تكتب المراسنة ويخمسها قاضي عسكر الروم ايلي وقاضي عسكر الأناضول وقاضي الأستانة وقاضي غنطة وقاضي الخواص الرفيعة وقاضي مكة وقاضي المدينة وغدا قاضي عسكر الأناضول قاضياً على آسيا وأفريقية وقاضي عسكر الروم

ايني قاضياً على الروم ايني وأما بقية البلاد فيحكمها نواب هؤلاء القضاة فلكل مركز ولاية نائب ولكل مركز لواء نائب ولكل مركز قضاء نائب ولبعض النواحي نواب فنواب آسيا وافريقية ونواب قاضي عسكر الأناضول وأما نواب الروم ايني فهم نواب قاضي عسكر الروم ايني ولتصب النيابة رتب منها خامسة ورابعة وثالثة ومسبق ومستخدم الخ.

وترك الخيار في مراجعة المحاكم لأرباب الدعاوي وتقرر استئناف الأحكام في مجلس التدقيقات الشرعية وتميزها في مقر الفتوى والتمييز قبل الاستئناف خلافاً للأحكام النظامية فالجج والاعلامات ينظر فيها بعد تدقيق توقيعها وختم خاتمها فان وافقت الأصول الشرعية ترسل إلى مجلس التدقيقات الشرعية.

ثم جعلت محكمة (الغيش) في نظارة الأوقاف للنظر في دعاوي الأوقاف ومحكمة (القصة العسكرية) للنظر في دعاوي الإرث وتحرير الشركة وتقسيها وعين مفش الأوقاف حاكماً في محكمة التفتيش ومدته سنة والقسام العسكري حاكماً لمحكمة القصة العسكرية واختصت محكمة الغيش بدعاوي توجيه الجهات والتولية والحنولات واستئنافها بمجلس التدقيقات الشرعية وأما القسام العسكري وقسام بيت المال فنحنقان بقاضي عسكر الروم ايني وليس لقاضي الأمتانة سوى النظر في دعاوي الطلاق والنكاح والنفقة والمنازعات المتعلقة بالكدكات. وأما سائر المحاكم الشرعية فنها أن تنظر في دعاوي النكاح والطلاق والنفقة والحضانة والحريق والرق والقصاص والدية والارث والوصية والإرث والإقراض بالدور الشرعي والدعاوى الوقفية المتعلقة برقة المسقات والمستغلات والكدكات من الأوقاف الصحيحة التي هي من ذات الإجارة الواحدة أو

ذات الاجارتين هذه الدعاوي في الأمور الشرعية مشوشة من حيث المرجع تحتاج إلى إصلاح حقيقي.

أوصاف القضاة الشرعية

٤

القضاء فرض كفاية وسنة مثبتة لا يجوز أن يقلد إلا من تكاملت فيه شروطه وذلك بان يكون رجلاً بالغاً عاقلاً صحيح التمييز جيد الفطنة بعيداً عن السهو والغفلة حراً مسلماً عادلاً صادق اللهجة ظاهر الأمانة عفيفاً عن المخارم متوقياً المآثم بعيداً عن الريب مأموناً في الرضى والغضب صاحب مروءة في دينه ودنياه سالم السمع والبصر ليصح بهما إثبات الحقوق وأن يكون عالماً بالأحكام الشرعية وعنده ما يشل عنم أصولها والارتياض بفروعها.

وأما أصول الأحكام الشرعية فهي أربعة احدهما عند بكتاب الله عز وجل حق معرفته والثانية عنده بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالثة عنده بتأويل السلف فيما اجتمعوا عليه واختلفوا فيه ليتبع الإجماع ويجتهد برأيه في الاختلاف والرابعة عنده بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها واجمع عليها حتى يجد طريقها إلى العلم بأحكام النوازل ويميز الحق من الباطل.

فإذا أحاط عنده بهذه الأصول الأربعة للأحكام الشرعية عد فيها من أهل الاجتهاد في الدين وجاز له أن يفتي ويقضي وأن أدخل بها أو بشيء منها خرج من أن يكون من أهل الاجتهاد فلم يجز أن يقضي ويفتي وجوز أبو حنيفة تقليد القضاء من ليس من أهل

الاجتهاد ليستفتي في أحكامه وقضاءه واختلاف أصحابه فمنهم من وافقه ومنهم من خالفه والذي عليه جمهور الفقهاء أن ولايته باطلة وأحكامه مردودة.

ويقول ابن هبيرة في الإيضاح (إنما عني بالاجتهاد لما كان عليه الناس في الحال الأولى قبل استقرار مذاهب الأئمة الأربعة فالقاضي الآن وإن لم يكن من أهل الاجتهاد ولا تعب في طلب الأحاديث وانتقاد طريقها لكن عرف من لغة الناطق بالشرعية عليه الصلاة والسلام مالا يحتاج معه إلى شروط الاجتهاد وإنما عني القاضي أن يقضي بما يأخذه من الأئمة أو عن واحد منهم فإنه في معنى من كان أداه اجتهاده إلى قوله قاله وعني ذلك فإنه إذا خرج من خلافهم متوخيئاً موافقاً للاتفاق ما أمكنه كان آخذاً بالحزم عاملاً بالأولى ويجب عليه الأخذ بالأكثر والعمل بما قاله الجمهور دون الواحد فإنه يأخذ بالحزم مع جواز عمله بقول الواحد إلا أنني أكره له أن يكون مقتصرًا في حكمه عني إتباع مذهب أبيه أو شيخه فلو عدل عما اجتمع عليه الأئمة الثلاثة إلى ما ذهب إليه أبو حنيفة بمفرده من غير أن يثبت عنده بالدليل ما قال ولا أداه إليه اجتهاده فإني أخاف من الله عز وجل أن يكون اتبع في ذلك هواه ولم يكن من الذين يستعون القول فيتبعون أحسنه.

ثم قال: لو أهملت هذا القول ولم أذكره ومشيت عني ما عليه الفقهاء من أنه لا يصلح أن يكون قاضياً إلا من كان من أهل الاجتهاد لحصل بذلك ضيق وخرج عني الناس فإن غالب شروط الاجتهاد الآن قد فقدت في أكثر القضاة ولذلك ان ولاية الحكام جائزة وأن حكوماتهم صحيحة نافذة وإن لم يكونوا مجتهدين والله أعلم أهـ).

وبهذا علمت أن قد جوز ابن هبيرة قضاء من لم يكن من أهل الاجتهاد وذلك في زمانه ولكنه لك يجوز قضاء الجهال ولو نظرنا إلى قوله لأدركنا أن القاضي إذا لم يكن من أهل

الاجتهاد يجب عليه أن يكون قريباً من درجته لئتمكن من ترجيح القول الراجح والقول الموافق ولو عني غير منجه فإن أئمة الدين والفقهاء الحققين أوصوا باختيار القول الراجح ولو كان على غير منجه (لأن التقليد الأعلى في أحكام الشرع محظور والاجتهاد فيها مستحق).

فهي الشارع عن طلب القضاء وقد ضرب السلف الصالح وحسوا ليتولوا القضاء فلم يقبلوا وجوز بعضهم طلب القضاء في حالتين إحداهما أن يكون القضاء في غير مستحقه إما لتقص عنه وإما لظهور جوره والحالة الثانية أن لا يكون في القضاء ناظر وهو حال من وال. وطلبه لاحتياجه مباح وإن كان لإقامة الحق فهو مستحب وإن كان طلباً للنجاح فهو مكروه.

واتفق الأئمة الأربعة والفقهاء المتقدمون والتأخرون على أن القاضي إذا أخذ القضاء بالرشوة لا يصح قضاؤه وإذا حكم لا ينفذ حكمه ويجب نقضه واجمع الفقهاء على أن القاضي إذا ارتشى لا ينفذ قضاؤه فيما ارتشى فيه. وقال السرخسي لا ينفذ كلها.

ولا يجوز للنقضاء أخذ العائدات واخصول ولو احتجوا بإذن موليه لأن ابن عابدين أنكرها كل الإنكار وذكر في الخبرية أن من التزم القضاء على مبلغ معلوم فهو كافر والعياذ بالله ولا يصح الاحتياال لحصول القضاء. وأما القضاء بظنم أو رشوة فيوجب العزل والعزير وقد منع القاضي من قبول الهدية والاستعارة والاستقراض وسائر ما يتبرع به ويمتنع ويجب رد الهدية إلى صاحبها أو لبيت المال إذا لم يعنم صاحبها وعدم القبول هو المقبول. وإذا فسق القاضي عزل ولا يكون القاضي فظاً غليظاً جباراً عنيداً وكرهه تحريماً أخذ القضاء لمن خاف الظنم والعجز عن إقامة الحق والعدل.

ولاية القاضي مقيدة بالزمان والمكان والحوادث وتكون ولايته عامة أو خاصة في بعض المسائل أو على أحد المذاهب وله أن يستخلف نواباً إذا فوض إليه صريحاً كقول من شئت أو دلالة كجعلتك قاضي القضاة ولا يصح للقاضي أو النائب أن يحكم بما خالف الدليل لأنه لا ينفذ ولو حكم به ألف قاضٍ وأما القضاة فهي على ثلاثة أقسام الأول حكمه بخلاف النص والإجماع فهو باطل ينقض والثاني حكمه فيما اختلف فيه فهذا ينفذ وليس لأحد نقضه والثالث حكمه بشيء يتعين فيه الخلاف بعد الحكم فيه أي يكون الخلاف في نفس الحكم فقليل نفذ وقيل توقف على مضاء قاضٍ آخر فلو أبطله الثاني بطل وإن أمضاه فليس لقاضٍ آخر نقضه.

وأما منزلة القضاة من حيث الآخرة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق ف قضى به فهو في الجنة ورجل عرف الحق فقم يقض وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق ف قضى للناس على جهل فهو في النار فانظر إلى ما كانت عليه أحوال القضاة وأحكامهم تعلم منازلهم. ويسرنا أن نرى الحكومة الدستورية أخذت تعنى بانتخاب من توفرت فيهم الشروط الشرعية وفقها الله.

أحوالهم الأخيرة

٥

في المقالة الثالثة أن مدرسة النواب أمت لتخريج نواب قادرين على القيام بما يعهد إليهم من الوظائف عارفين بأحكام الشريعة غير أنني حتى الآن لم أصادف بين من اجتمعت بهم من المتخرجين في المدرسة المذكورة عالماً بوظائفه وأحكام الشريعة كما يجب

إلا القليل منهم وهذا مما يدل على أن ذلك المعهد العلمي غير كاف وفي حاجة عظيمة إلى الإصلاح ومع ذلك فإننا نرى كثيرين من النواب تخرجوا بكتابة أحكام الشرعية وربما يتعلم هؤلاء الكتابة وتنظيم الاعلامات والصكوك والحجج الشرعية وضبط الدعوى وتصير معهم منكة المعاملات غير أنهم يخطون في أحكامهم خطأ عشواء ويجمعون من مجلة الأحكام العدلية وكتب الفتاوى ما يجدون كحاطب ليل واغرب من ذلك ما صادفته في بر الأناضول وذلك أن النواب هناك يستخدمون نواباً لأنفسهم جوالين (سيار نائب) ثم يأخذونهم إلى باب المشيخة ويجعلونهم نواباً بالوسائط التي بلغوا المناصب بها وقد شاهدنا بأمر العين نواباً لم يكونوا ممن انتسب إلى العلم.

فالنواب حينما يذهبون إلى الأستانة في طلب التعيين ينتظرون زمناً طويلاً ويتكبدون نفقات طائلة ويقاسون أنواع العذاب ولا يحصلون على نيابة إلا بعد أن يصرفوا ما جنوه من أموال العباد في خلال نيابتهم الأولى فيخسرون ما جمعوه وتبقى عليهم حقوق العباد وعذاب الواحد الديان وأغلبهم يصل إلى النيابة إما بطرق غير مشروعة وإما بشفاعة غير جاثرة ونادر من غدا نائباً بطرق سهلة.

وأما روايتهم فهي قليلة في أكثر أنحاء المملكة وقدما تقوم بنفقاتهم ولذلك تراهم منصرفين إلى ادخار الأموال ليصرفوها في طرقهم وإقامتهم بالأستانة وأخذ النيابة ولهذا السبب أيضاً ترى أنهم تريد العائدات التي أنكرها الفقهاء على أن المشيخة الإسلامية تركت تلك العائدات لنكبة فالتواب يشاطروهم إياها حتى على تركية الشهود ونفقات الطريق وأجرة القيد وما يسونونه الدلالية والقرطاسية ولا يسع الكتاب إلا السكوت والرضى لأنهم إذا امتنعوا عن إعطاء القسم الأعظم من العائدات تهددوهم بالعزل وعدم إصدار

الاعلامات وحل المخاصمات بلا ضبط فحينئذ إما أن ينعزل الكاتب وإما أن يحرم من العائدات وقد تزيد هذه العائدات على رواتب النواب في أغلب الأحيان وتشغلهم كثيراً وتدعوهم إلى إحالة الدعاوي الحقوقية إلى الحكمة الشرعية.

فهذه العائدات على قسمين قسم مقيد في دفتر الخزينة فلما تجاوزت الخمسة من هذا القسم يكون مشتركاً بين النواب والخزينة وما كان دون الخمسة يكون حق النائب والكاتب لذلك لو دقت دفاتر الخزينة في كل الجهات ترى هذه العائدات قلما تجاوزت الخمسة وأنا القسم الثاني فذلك ما دخل كيس النائب والكاتب من غير أن يقيد بصندوق الخزينة وهذه الأجور والعائدات مصرح بمقاديرها في نظام أموال الأيتام غير أن الشريعة المطهرة لم تأمر بها على أننا لو نظرنا إلى حقائق الشريعة وما يقتضيه الدين والصالح نرى أن أمر القضاء فرض كفاية كحفظ القرآن لا يستحق الأجرة كما فعل أبو بكر بن المظفر الشامي وغيره ولقد أفق الفقهاء المتقدمون بتخصيص رواتب معلومة من بيت المال لتفرغهم عن المكاسب واشتغالهم بمصالح الناس وأنكروا تناول العائدات وقالوا أن الراتب يجب أن يكون كافياً.

لو نظر المرء إلى (المراسلة) التي تسبب بنيانهم وتصرح بوظائفهم تحت توقيع القاضي عسكر وجد أن عمل النواب محصور بإتفاذ الأحكام الشرعية عامة وبشدة الاعتناء في تحرير التركة.

وأما التركة التي يجب تحريرها فهي تركة رجل مات عن صغير أو غائب أو مات عن غير وارث أو إذا كان الميت مستغرقاً بالديون أو إذا طلب أحد الورثة تحرير تركة أبيه والغرض من ذلك حفظ حقوق الورثة وأخص بالذكر منهم الأيتام وقد رأينا النواب

مسارعين إلى تحرير التركات غير أن السبب الحقيقي الذي يدفعهم إلى هذه السرعة هي العائدات والتنفقات التي يأخذونها فنواب الأناضول تستخدم النواب الجوالين في تحرير التركات فيطوف هؤلاء القرى ويفتشون القبور والمدافن ويستخبرون عن الأموات فعندما يعلمون بوفاة أحد يجب تحرير تركته يحررونها فيتألم الورثة وأهل القرية وتستولي عليهم الكتابة والأحزان فوق حزنهم غير أنهم لا ينطقون ببنت شفة لأن النائب المتجول جاء باسم الدين والحكومة وم أشهد هذه الحالة في البلاد السورية لأن تحرير التركة هنا يتولاه النائب بنفسه أو يرسل رئيس كتابه.

وأما تحرير التركات في مراكز الولايات فذلك من شأن نائب النائب وكتبه المحاكم فهؤلاء يستخدمون جواسيس وأعواناً يطوفون في البدة ويستخبرون عن الأموات من المغسلين والحفارين ولما يعلمون بتركة تتحقق التحرير يذهبون إليها مهرولين فهناك الطامة الكبرى والمصيبة العظيمة على الأيتام فتؤخذ الأشياء الثمينة والنادرة بشئ بخس واسم مستعار وترسل إلى بيوت النواب والكتابة ثم يحسبون أجره الدلالة والقيود وأجرة اعلامات الديون وعلامات الصلح وأجرة دفتر القسام وأجرة إقدامهم لأنهم كلفوا أنفسهم وتعبوا في حفظ حقوق الأيتام والورثة. وبعد ذلك يضمنون الطوابع والأوراق الحجازية ويأخذون كل هذه النفقات من ثمن التركة فيصبحون بذلك شركاء الورثة وربما أخذوا أكثر من الورثة وهذا الأمر يكاد يكون عاماً وأما سوء الاستعمال في الإدانة والاستدانة وثبوت الرشد فحدث عنه ولا حرج ونذر النواب الصالحون الذين لا يمسون أموال الأيتام.

ولا يخفى أن الله سبحانه وتعالى منع مس أموال الأيتام بتاتاً وصرح بمنعه في آيات عديدة واتفق الفقهاء والعلماء على تحريم أخذ أموال الأيتام حتى حرموا الجلوس على كراسيهم وأثاثهم واستعمال أوانيهم ولست أدري على أي كتاب وأي قول وأي نص يأخذون هذه العائدات والأجور فإن قيل أن في ذلك فتوى أقول ولا أبالي أن لا مساع للاجتهاد في مورد النص وإجماع الأمة والفقهاء وعلى ما أظن أن تلك العائدات وضعها وجوزها القضاة والنواب الذين كانوا يأخذون مناصبهم بطريق المزايدة والالتزام.

وزد على ذلك كله أن النواب أعضاء في مجالس الإدارة ومجلس القرعة العسكرية ولجنة الفراغ ورؤساء للمحاكم البدائية الجزائية ومحاكم الحقوق ودائرة الإجراء ولهذا لا يفترون عن الاستفادة الغير المشروعة من كل مسألة لهم فيها علاقة فالتناس والمستخدمون يتألمون مما يشاهدونه من سوء استعمالهم في قسم الجزاء فيحكمون على بريء ويبرؤن الجاني ويتركون الأتقياء والجرمين ويحبسون المساكين وتسهلاً لمقاصدهم يجعلون غرفة الاستقبال في بيوتهم محكمة شرعية على أن الفقهاء صرحوا بأن القضاء يقام في أكبر الجوامع أو في محل خاص في منتصف البلدة فلو نظرنا إلى التاريخ لعلمنا أن أهم المدارس بدمشق كانت مقراً للقضاة وأن المدرسة العادلية كانت مقراً لقاضي المذهب الشافعي.

نظرة في إصلاحهم

٦

ذكرنا أن المشيخة الإسلامية عبارة عن الفتيا والفتيا والقضاء من حقوق الخلافة والإمامة الكبرى وأن المفتي يخبر عن الحكم الشرعي والقاضي يلزم به على أن كل عالم يستطيع أن يفتي بما يفتي به المفتي لأن الفتوى لا تتضمن الحكم والإلزام ولا يجوز لعالم ولا مفتي أن

يحكم بما حكم به القاضي مع أن للقاضي أن يفتي ويستخلف أمناء ونواباً ولم أر حتى الآن عبارة أو قولاً لفقهاء يشاربه إلى استخلاف المفتي نواباً أو إلى تداخله في تعيين النواب لأنهم نواب القاضي لا نواب المفتي وأمر الاستخلاف يتوقف على إذن الخليفة.

ذكرنا أن مجلس انتخاب الحكام ينتخب النواب وشيخ الإسلام أو مفتي الأنام يأمر بتوظيفهم وقضاة العسكر يوقعون على مراسلاتهم ليكونوا نواباً لهم توفيقاً للأحكام الشرعية ومن ذلك يظهر أن القاضي هو الذي يستخلف النواب وقد عجت حصر القضاة في قضاة العسكر وإبقاء هذا التعبير لأن هؤلاء القضاة هم في الحقيقة قضاة عامة المسلمين والأمة ليست بأمة مسلحة على أننا لو نظرنا إلى التواريخ علمنا أنه كان في كل مركز ولاية قاض وفي أعظم مراكز الأولوية قضاة وأنه كان في المدن الإسلامية الكبرى قضاة لكل مذهب ولذلك أرى أن يكون في مركز كل ولاية وفي مركز بعض الأولوية المهة قاض وأن يكون شيخ الإسلام قاضي القضاة يرجع إليه جميع القضاة وأن يكون للقضاة حق استخلاف النواب بإذن من الخليفة فيدسح أمر تعيين النواب بيد قضاة الولايات فيتخلص هؤلاء من العناء والذهاب إلى الأستانة ولا مانع من جعل مدة النواب أربع سنوات لأن ذلك أمر اجتهادي ثم يجب أن يؤلف مجلس من فحول علماء المسلمين تحت رئاسة قاضي القضاة ينتخبون القضاة من بينهم فيصدق على انتخابهم قاضي القضاة ويعرضهم على الخليفة لتصدر إرادته بتعيينهم وينتخب لمنصب قاضي القضاة ثلاثة علماء من هذا المجلس أو من غيرهم بأكثرية الآراء والخليفة يختار واحداً منهم يجعله قاضي القضاة.

وأهم ما يجب إصلاحه مكتب النواب والرأي توحيده مع شعبة العلوم الدينية في دار
الفنون العثمانية وإصلاح الدروس وتعيين أفاضل المعلمين ليخرج فيه نواب أفاضل
ومفتون ومدرسون عالون ويكون هذا المكتب أعنى قسم لمكتب استعدادي ينشأ في
دمشق ويكون هذا مخرجاً لتلاميذ القسم العالي والغرض من الاستعداد في تعليم النواب
اللغة العربية التي لا غنى للنواب عنها إذا كانوا يرغبون في تطبيق أعمالهم على أحكام
الشريعة ثم تسهيل التحصيل على الفقراء لكثرة المدارس والأوقاف بدمشق وعندما يتم
التلميذ التحصيل في المدرسة الإستعدادية يذهب إلى الأستانة ليدخل مدرسة النواب
ويجوز قبول المتخرجين في المدارس الرسمية الإستعدادية وطلاب العلم بالامتحان وعندما
ينال التلميذ شهادة القسم العالي يستخدم على حسب استعداده وعند يكون له حق
الترفيه.

ويجب أن يكون مقر الحكم في دائرة رسمية لا في بيوت النواب ولا يجوز انفراد النواب في
الحكم لأنه غير معقول ولا يوافق مقتضيات زماننا وناهيك بما نشاهده من سوء أحوال
النواب. وورد في الكتب الفقهية أن لنقاضي أمناء يعينونه في الحكم فهؤلاء هم في الحقيقة
أعضاء ولا فرق في المعنى كما أنه لا اعتبار للألفاظ فإن شئت سمهم أمناء وإن شئت سمهم
أعضاء ومن ثم يجب أن يكون مع كل نائب في القضاء أمينان عالمان ومع كل نائب في
الولاية والنواء أربعة أمناء أكفاء ويسأل هؤلاء الأمناء عن الحكم ويجعل النائب رئيساً لهم
فإذا رأوا حكم الرئيس مخالفاً للأحكام الشرعية يكونون في حل أن يعترضوا ويصرحوا
بأسباب الاعتراض تحت توقيعهم فالملقي والمدرس الذين تقرر تعيينهم أخيراً يكونان أمناء

نائب القضاء والمفتي والمدرس وعالمان في مراكز اللواء ومركز الولاية يكونون أمناء قاضي أو نائب اللواء وقاضي الولاية.

وإذا نظرنا إلى أنواع قضايا القضاة الثلاثة التي سبق ذكرها وأخص بالذكر منها القسم الثالث الذي يتوقف حكمه على إمضاء قاضي آخر فإن بطله بطل وإن صدق عليه نفذ ندرك أن حكم القاضي من أي قسم كان من هذه الأقسام الثلاثة يحتاج إلى تدقيق ولذلك يجب تمييز أعلام محكمة القضاء في محاكم اللواء أو الولاية بحسب البعد والقرب وإعلام الولاية يميز في مركز السنطة إذا كانت الولاية قريبة من العاصمة ويدقق الحكم فأما أن ينقض لمخالفته أحكام الشريعة وأما أن يصدق عليه إذا كان موافقاً فيصير حكماً مقضياً.

ولا بأس بتوحيد المحاكم الشرعية والمحاكم الحقوقية وجعل الأمناء أعضاء في كلا المحكمتين.

ويجب حينئذ إصلاح أحكام اللجنة بحسب الأحوال والزمان والمكان والحكم الذي لا يوجد في المذهب الحنفي قد يوجد في مذهب المالكي وقد سبق الذكر بأن القاضي لا يحصر حكمه في مذهبه واتباعه هو فحينئذ تتألف لجنة من أفاضل علماء المذاهب الأربعة فينقحون اللجنة ويصححون أقوالها المرجوحة ويجعلونها جامعة لأحكام الدينية الصريحة ولا شك بأنهم يجدون الأحكام الموافقة للعقل والنقل والزمان.

ويكون الأمناء مسلمين بيد أنه حدثت قضية بين مسلم وغير مسلم أو بين غير المسلمين تجوز استنابة أعضاء المحاكم الجزائية والتجارية من غير المسلمين أثناء المحاكمة لأن الإمام الأعظم وغيره من الفقهاء صرحوا بجواز حكم النيين بين أصحاب مذاهبهم

ومن لا يرضى بالحكم فله أن يميز دعواه في محكمة أخرى وإذا عرف الحكام بالعدل والإنصاف لا يمتنع أحد عن قبول أحكامهم لأن العدل يرضي كل إنسان أما المسائل المذهبية فترك لرؤسائهم الروحية بحسب الواعد الصنحية.

هذه نظرات أساسية لقواعد يجب وضعها في إصلاح النواب والقضاة فيجب بادئ بدء تأليف مجلس العلماء الذي أشرنا إليه ليجتهدوا في الأحوال والزمان والمكان ثم ينظرون في أحكام القرآن والحديث وفي الكتب الفقهية والمدونات فيقررون قواعد تحفظ بيضة الدين وقواعد الإسلام وترفع شأن المسلمين.

شكري العسني

قضاء الفرد وقضاء الجماعة

من خطبة لرفيق بنك العظم ألقاها في مدرسة القضاء الشرعي في القاهرة

ليس المراد بقضاء الجماعة هو قضاء هيئة مؤلفة من أكثر من واحد فقط كما قد يتبادر إلى الذهن بل هي بالمعنى المشترك أيضاً جعل قوة التشريع القضائي مصونة عن رأي الأفراد وتفردهم بالتشريع منوطة بالجماعة تثبتاً من الحكم واطمئناناً للدليل واعتصاماً على ما هو الأصلح عند الجماعة إذا تعذر وجود النص.

إن مراعاة الأصلح قاعدة من أهم قواعد التشريع الإسلامي التي يدفع بها الحرج وتدرأ المفاسد عن المجتمع حتى لقد كان كبار الصحابة يراعون قاعدة الأصلح عند الضرورة مع وجود النص ويتنازعون على المسألة الواحدة يجيء بها النص من عدة روايات أو يحتاج إلى الظهم الدقيق تثبتاً من الحكم ورغبة بمحض الخير للأمة والعدل بين المتقاضين وبذلاً للجهد في بيان الحقيقة للمستفتين وقد قال ابن القيم تنازع الصحابة في كثير من الأحكام

ولكن لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال. أي المسائل التي تتعلق بالإيمان.

قلنا أن المراد بقضاء الجماعة جعل قوة التشريع القضائي في حياز جماعة لا فرد لأن ذلك أسلم وأبعد عن الخطأ وأضمن للعدل وسببه أن الأحكام التي يرجع فيها إلى الرأي والاجتهاد أو القياس عند تعذر وجود النص أو عند لوم ترجيح رواية من الروايات تحتاج إلى شروط قلما تتوفر في الفرد الواحد وإن توفرت له فربما لا يتيسر له تحري المصلحة وتطبيق الحكم عليها من كل وجه بحيث لا يخالفه فيه غيره ممن هو في طبقته من أهل العلم.

اعتبروا ذلك في أئمة المذاهب المجتهدين فإنه مع بذل كل واحد منهم في تقرير فروع المذهب وأصوله منتهى الجهد في تحري صحيح الآثار والأخبار وتبع أصول الشريعة فقد اختلفوا في كثير من المسائل واختلف اتباعهم بعد ذلك اختلافهم أيضاً فكان من ذلك انقسام القضاء الإسلامي على نفسه حتى وجد في بعض العصور أربعة قضاة لأربعة مذاهب في مصر واحد من الأمصار الإسلامية هذا فضلاً عن اختلاف فقهاء كل مذهب أيضاً في المسألة الواحدة حتى أصيب الإفتاء بما أصيب به القضاء من التشتت والانقسام واضطرب أمر العدالة أيما اضطراب مع أن الأصل لهذه المذاهب واحد وهو الدين الإسلامي المبين.

لهذه العلة الخطرة كان الصحابة الكرام لا يستنكفون عند الاستفتاء من أحدهم أن يحيل بعضهم على بعض أو يستشير بعضهم بعضاً في تقرير الحكم كما ثبت ذلك في كتب

السنة خوف الوقوع في خطأ يجر إلى مظنة أو إثم ولا سيما فيما يحتاج فيه إلى العمل بالاجتهاد والرأي.

لما كانت الشرائع مبنية على درء المفاسد وجلب المصالح والشرعية الإسلامية أخرى الشرائع برعاية هذين الأمرين فقد سن الشارع إيقاف العمل بالنص مراعاة للمصلحة ولكن عند الضرورة القصوى وثبوت المصلحة ولزومها على وجه لا يقبل الشك في أن المصلحة تترتب على العدول عن النص أكبر من المصلحة التي تترتب على العدل به واستن بسته صحابته والخلفاء الراشدون من بعده فكان ذلك شرعاً أيضاً فيه تيسير عظيم على المسلمين واليكم الدليل.

في حديث لأبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي أن تقطع الأيدي في الغزو. وأنتم تعلمون أن القطع حد من حدود الله لم يثن النص القرآني منه الغزاة لكن النبي نهي عن إقامته في حال مخصوصة خشية أن ينشأ عنه مضرة وهي لحاق صاحبه بالعدو وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم عدة أخبار أخرى من هذا القبيل لا محل لذكرها هنا وهي مبسطة في كتب الحديث.

وقد استن الصحابة بسته وأوقفوا الحدود في أحوال مخصوصة تدعو إليها الضرورة جاء في كثير من كتب الأخبار أن عمر كتب إلى الناس ألا لا يجندن أمير جيش ولا سرية ولا رجل من المسلمين حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب لتلا تنحقه حجة الكفار. وروى ابن القيم في أعلام الموقعين عن ابن حاطب بن أبي بن تعة أن غلبة لأبيه سرقوا ناقه لرجل من مزينة فأتى بهم عمر فأقرأوا فأرسل إلى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له أن غنمان حاطب سرقوا ناقه رجل من مزينة وأقرأوا على أنفسهم فقال عمر يا كثير بن

الصنت اذهب فاقطع أيديهم فننا ولى بهم ردهم عمر ثم قال أما والله لولا أني أعلم نكم تستعملوهم وتجيئوهم حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له لقطعت أيديهم وإيم الله أن لم أفعل لأغرمتك غرامة توجعك ثم قال يا مزي بكم أريدت منك نافتك قال بأربعمئة قال عمر (أي عبد الرحمن) اذهب فأعطه ثمانمائة.

وغير هذا فقد أسقط عمر الحد في عام الجاعة للضرورة وتجاوز أبو بكر عن خالد بن الوليد في حادثة مالك بن نويرة إذ قتله دون تثبيت من إسلامه كما تجاوز عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل ذلك بما صنع بيني جزيمة لما أرسله داعياً لا محارباً فذهب إليهم وحاربهم وقتل وسي منهم فبريء رسول الله من عمنه إلى الله ولم يؤاخذه به وما ذلك إلا لحسن بلاء خالد في الحروب وخدمته العظيمة في الإسلام وكذلك أسقط سعد بن أبي وقاص الحد عن أبي محجن في حرب القادسية وقال والله لا أضرب اليوم رجلاً أبني للمسلمين ما أبلاهم.

والشواهد على هذا من أعمال النبي وأصحابه كثيرة لا يتسع لها مقام الخطابة ولعل هذه القاعدة سوغت بعد لبعض الحكومات الإسلامية التجاوز عن الحدود والعقوبات المدنية كالسن بالسن والعين بالعين وأبدلت بها العقوبات الأدبية كالحبس والتغريم مثلاً للضرورة تغير الزمان أو لفشو المنكرات فشواً لم ينجع في تأديب مرتكبيها إلا حبس حريتهم في السجون أو غير ذلك من الدواعي والأسباب الزمانية.

ليس فيما ذكر غض من مقام الشريعة أو مس لأصولها المقدسة مادام من أصولها وقواعدها أيضاً العدول عن النص عند ثبوت المصلحة أو درء المفسدة بأقل ضرر منها والشريعة كما تعلمون مبنية على المصلحة وقد سبق الله تعالى رسوله والأئمة من بعده إلى

تقرير قاعدة مراعاة الأصح وهو ما يسوته النسخ وما هو بنسخ وإغا تقرر حكم اقتضه مصلحة زمان وحال غير حكم آخر في زمان تقدمه وأحوال اقتضه كحكم جهاد المشركين من العرب في مبدأ أمر الدعوة حمايتها وحماية المسلمين من أعدائهم وأعدائها وفيه الإذن بقتالهم حتى يقولوا لا إله إلا الله ثم تقرير حكم آخر بعده أي بعد أن انتشرت الدعوة وقوي جماعة المسلمين وصاروا في مأمن من غائلة الضعف وهو حكم الدعوة بالتي هي أحسن.

وبالجملة فإن منخص ما تنوته عليكم ينحصر كنه في المقدمات الآتية:
 (أولاً) إن القضاء في العصر الأول كان مرجعاً لنصوص الشريعة أي أصولها التي قررها الشارع واجتهاد الصحابة والتابعين فيما لم يرد به نص.
 (ثانياً) إن الأحكام التي جاءت عن الشارع لم يكن في استطاعة فرد واحد حفظها أو يتعذر على الواحد الإحاطة بها فاحتج في القضاء إلى استشارة حفاظها.
 (ثالثاً) إن الصحابة كانوا قد يختلفون في المسألة الواحدة إما في تطبيق النص أو في مسوغ الحكم إذا كان اجتهادياً تبتاً من وضع الشيء في محله جهد الإمكان.
 (رابعاً) أنهم كانوا يعدلون عن النص عند الضرورة الداعية وفي أحوال مخصوصة تدعو إليها المصلحة التي بني عليها الشرع اقتداءً بالشارع.
 (خامساً) إن ورعهم وتقواهم وخوفهم من الوقوع في الإثم كل هذا كان يدعوهم إلى عدم الإنفراد بالحكم ومشاركة خيار المسلمين وعلمائهم في تطبيق الأحكام إذا كانت اجتهادية على القياس الصحيح أو الرأي السالم من خطأ الفرد.

هذه المقدمات تنتج نتيجتين مهنتين أحدهما أن القضاء في الإسلام كان قضاء الجماعة لا قضاء الفرد والثانية أن الشريعة الإسلامية بما تقرر فيها من قاعدتي الاجتهاد ورعاية الأصلح كانت من الشرائع التي توافق كل زمان ومكان وتحيي لكل ضرورة حكماً يوافق مقتضى المصلحة والحال وإن خالف النص مع اعتبار هذه القاعدة شرعاً أيضاً خلافاً لما يتقوله عليها المتقولون من أنها شريعة ضيقة توافق زماناً غير زماننا هذا ومكاناً غير مكان الأمم الراقية لهذا العهد فهي إذا صنحت لأهل العصر لا تصلح لعصر تسير شرائعه مع مقتضيات المدنية الحديثة وحاجاتها سيراً تدريجياً في كل ما يقتضيه ترقى الجماعات. ومنشأ تقولهم هذا الجهل بحقيقة الشريعة الإسلامية وعدم الوقوف على أصولها وقواعدها وكنياتها يساعدهم على ذلك ما يرونه من تعصب بعض عناء الشريعة المقلدين لما جاء في كتب الفروع دون الأصول وردهم لكل ما لم يرد فيها من أسباب التيسير وإن ورد في أصول الشريعة وكنياتها من أن في كتب الفروع من الأحكام التي لا تستند إلى دليل قطعي مالا يعدو سبناها الاجتهاد أو الرأي والقياس ومع هذا فإنهم يفضلون العمل بهذه الأحكام على الرجوع إلى أصل الشريعة مهما كان فيها من التقييد والتضييق على أنفسهم والأمة ومهما ترتب على ذلك من التهم الباطلة التي يرمينا بها الباحثون في طبائع الاجتماع.

وحجة هؤلاء العناء في هذا سد الذريعة أو خوف انتشار دعوى الاجتهاد إذا فتح بابها وتطرق الفساد إلى الشريعة وهي حجة معقولة ومسننة لا يخالفهم فيها عاقل لكن فيما ل صارت قوة التشريع أو الاجتهاد إلى الأفراد وأطلق العنان لكل قائل أن يقول هذا حكم الله ورسوله ولكل حاكم أن يحكم بما يرى ويقول.

ومعاذ الله أن يريد هذه الفوضى للشرعية الإسلامية عاقل قط وإنما المراد أن ينظر في المسائل التي يقتضيها تغير الزمان وتجدد المصالح والحاجات عني شرط عدم الوقوع في ذلك إخلال الذي يخشاه العناء وذلك بأن تناط قوة التشريع والاجتهاد في المسائل الطارئة في كل عصر بجماعة من أهل العلم الواقفين عني دقائق الكتاب والسنة والعارفين بحاجات الأمة ليقرروا لها الأحكام الموافقة لمقتضى الحال ثم تنال هذه الأحكام تصديق أهل الحل والعقد فصيح قانوناً رسمياً يتحكم العمل به في الحكومة الإسلامية التي هي في حاجة إليه لا يعدل عنه إلى غيره من أقوال الفقهاء والعناء وإن مجتهدين فتضبط بهذا قوانين الشريعة ويؤمن عنها تطرق الفساد ثم يكون من ذلك أن تحدد هذه القوانين تحديداً يغني عن الرجوع إلى كتب الفقه التي تختلف في المسألة الواحدة اختلافاً كثيراً يؤدي في كثير من الأحيان إلى التشويش عني القضاء ويكفي أن تكون تلك الكتب شروحاً لقوانين الشريعة المعمول بها يومئذ يرجع إليها عند الضرورة والحاجة إلى تفسير نصوص ذلك القانون كما هو الشأن في مجلة الأحكام العدلية المعمول عليها في محاكم الدولة العثمانية دون غيرها.

للقضاء في الإسلام دوران دور العمل بالأصول ودور العمل بالفروع وإنما اخترت هذا القسم لاختصار الطريق أو اختصار البحث خوفاً من تعب القارئ والسامع مع أن أدواره بعد دور التشريع الأول كثيرة جداً إذا اعتبرنا تقسيمه إلى طبقات المفتين والمحدثين من الصحابة والتابعين ثم الأئمة المجتهدين ومن بعدهم من طبقات الفقهاء والمقننين من أتباع كل مذهب نعتبر ذلك بما قسموا إليه طبقات الفقهاء والمقننين من أتباع كل مذهب نعتبر ذلك بما قسموا إليه طبقات الحنفية مثلاً فقد قالوا أنهم ينقسمون إلى ست

طبقات: البقة الأولى طبقة المجتهدين في المذهب كأبي يوسف ومحمد وغيرهما من أصحاب أبي حنيفة القادرين على استخراج الأحكام من القواعد التي قررها الإمام. والثانية طبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب كالخفاف والطحاوي والسرخسي والخلواني واليزدوي وغيرهم وهم لا يقدرّون على مخالفة إمامهم في الفروع والأصول لكنهم يستنبطون الأحكام التي لا رواية فيها على حسب الأصول. والثالثة طبقة أصحاب التخرّيج القادرين على تفصيل قول مجمل وتكيل قول محتمل من دون قدرة على الاجتهاد.

والرابعة طبقات أصحاب الترجيح كالقدوري وصاحب الهداية القادرين على تفضيل بعض الروايات على بعض بحسن الدراية. والخامسة طبقات المقلّدين القادرين على التمييز بين القوي والضعيف والمرجح والسخيف كأصحاب المتن الأربعة المعتبرة.

والسادسة من دولهم الذين لا يفرقون بين الغث والسمين والشمال واليمين. لما اتسعت دائرة الفتح وانتشر الإسلام في الممالك القاصية وتفرق حفاظ الشريعة ورواها في الأنحاء مع اتساع دائرة القضاء بازدياد وسائل الحضارة واستبحار العمران وتجدد الحوادث التي يقتضيها تشعب المعاملات وحال الأمم الداخلة في الإسلام من غير العرب ولهذا خيف من تشتت أحكام الشريعة ودخول الفوضى في القضاء والإنشاء احتيج بالضرورة إلى أمرين مهمين: الأول تدوين الشريعة في الكتب. والثاني وضع قواعد للتخريج عن أصول الشريعة لتطبيق الحوادث التي تحدث في أحكام المعاملات على قوانين الشرع. وأول من تنبه لبحاجة إلى هذين الأمرين على ما أظن عمر بن عبد العزيز الخليفة

العادل الأموي وسداً للحاجة الأولى أمر الزهري من جنة التابعين وحفاظهم بتدوين الحديث في دفاتر وتوزيعها على الأمصار في أواخر القرن الأول ففعل كما هو مشهور معروف.

أما الحاجة الثانية فقد شعر بها ولكن سدها بعده الأئمة المجتهدون بدليل ما روي عن الإمام مالك بن أنس أنه قال عمر بن عبد العزيز: يحدث للناس من الأقضية بقدر ما يحدث لهم من الفجور.

أدرك هذا عمر بن عبد العزيز وأدركه الأئمة المجتهدون من بعده مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المذاهب التي لم يبق لها أتباع لهذا العهد كداود الظاهري وغيره وكأئمة الشيعة الذين يعمل بمذاهبهم إلى اليوم زيد بن عني وجعفر الصادق وغيرهم فلم يكتفوا بتدوين السنة في الدفاتر والكتب بل رأوا الحاجة تدعو إلى البيان والخصيل والتفريع والترتيب فعندوا إلى النظر في أصول الشريعة من الكتاب والسنة فاستخرجوا منها الأحكام ووسعوها ورتبوها ودونوها كل على أصول مذهبه وقواعده وأصول الاجتهاد المعروفة في كتب الأصول فضبوا بذلك قوانين الشرع بما بلغه اجتهادهم وأدى جهلهم فكانت كتب كل مذهب شرعاً يعمل به أتباعه إلى اليوم.

ولسنا بصدد إطراء هذا العمل الجليل الذي قام به أولئك الأئمة الكبار وحب هذا العمل أو هذه الخدمة التي خدموا بها الأمة والشرع إنما تصون منزلة الإفتاء والقضاء عن متناول كل من ادعى أن عنده مسكة من العلم بالدين والوقوف على السنة هذا لو أحسن العلماء بعد العمل بقوانين الفقه.

وبعد فقد ارتكب الفقهاء متن التصديق والتوسع حتى أخرجوا الأمة والجأوا بعض الحكومات الإسلامية إلى العمل ببعض القوانين المقررة عند الأمم الأوروبية خصوصاً الجنائية والتجارية نعم إن اختلاف الأقوال في المسألة الواحدة وكثرة الحواشي والشروح على القوانين والشرائع موجودة عند كل أمة فالقانون الفرنسي مثلاً له شراح من المشرعين وأشهرهم دالوز وكارباتيه وسيريه وغيرهم كثيرون إلا أن القضاء عند تلك الأمم لما كان بيد الجماعة وقوة التشريع ليست من حق فرد من الأفراد بل من حق الأمة ونواها فلمستور العمل عندهم ما أجمعت على وضعه قوة التشريع وصادقت على قبوله الحكومة فصا قانوناً للقضاء لا يعدل عنه إلى تلك الحواشي والشروح وآراء المشرعين ويصار إليها لضمير مبهم أو تطبيق الحوادث بعضها على بعض.

لشريعة المسلمين أصول وكنيات تعتبر أساساً للتشريع ومع أن أحكامها مسلمة فقد كان العمل بها في عهد الصحابة بالشورى بين المتفقهين منهم هذا فيما نص منها على ما يرد عنهم من النوازل فما بالكم فيما احتاج إلى الاجتهاد والتشريع بالقياس على تلك الأصول أو الاستنباط منها وقد كانوا لا يحكمون حكماً إلا بعد استشارة خيار الأمة وعلمائهم وإقرارهم جميعاً على ذلك الحكم حتى اعتبر بعض الأئمة المجتهدين بعد أحكام الصحابة لقوتها شرعاً أو أصلاً من الأصول التي يبنى عليها التفريع سموه عمل الصحابة أو إجماعهم كما سبقت الإشارة إليه وكما ترون ذلك في كتب الأصول.

إذا كان إجماع الصحابة على مسألة شرط في صحتها واعتبارها شرعاً ينزماً العمل به فقد لزم من هذا أمران:

الأول: إن إجماع الجماعة على تقرير حكم في مسألة شرط في صحة ذلك الحكم واعتباره شرعاً لزمنا العمل به وهو ما تفعله الأمم الأوروبية في تقنين قوانينها لهذا العهد وقد وجد له أصل في الشرع الإسلامي فتركناه وأصبحنا نغبط الأمم الأوروبية وقوانينها أو قضاء الجماعة عندها لهذا اليوم.

والأمر الثاني أن كل أقوال الفقهاء واختلافاتهم الواردة في كتب الفروع ليست بشرع إلا من حيث اشتغالها على أحكام يرد بعضها إلى أصول الشريعة إلا أنه غير متوفر فيها شرط التشريع الذي مر. وإناطة ترجيح قول دون آخر من حيث قرينه من الأصل بشخص واحد لا يكسب هذا القول أو الحكم قوة التشريع ليسى شرعاً أو قانوناً وجب العمل به إلا إذا اتفق عليه وقرره جمهور من المشرعين أو المرجحين وهذا ما اردته من وجوب بقاء الاجتهاد لكي لا ليتناوله من شاء فيما شاء. كلا بل لناط بجماعة من علماء المسلمين تقرير الأحكام التي تدعو إليها المصلحة ويتجدد بتجدد الزمان.

ولذا فإن اجتهاد الجماعة كما أنه لازم في الأصول فهو لازم في الفروع أيضاً وذلك لجمع أقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ما أصاب من تلك الأقوال محجة الصواب والمصلحة ووافق أصول الشريعة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح في كيا ببعينه يعتبر قانوناً في المعاملات مجعاً عليه من العلماء ليعرف منه كل مسلم ما له من الحقوق وما عليه لا لتقاذفه أقوال الفقهاء من خلاف لآخر ومن قول لنقيضه فتصير به إلى أهواء القضاة والمفتين يحكمون بما ترجح لديهم وبما يشتهون.

وليس اختلاف المذاهب بمنع من أن يحكم للشافعي أو عليه بقول للحنفية أو المالكي بقول للشافعية مثلاً إذ كل أتباع المذاهب أبناء دين واحد وكل أقوال كتب الفقهاء

مأخذها واحد وهو الشرع والواقع يثبت أن أحكام المعاملات كانت في أكثر المسالك الإسلامية ولم تزل إلى اليوم جارية في القضاء على مذهب الدولة الحاكمة و بما كان أكثر الرعية من أتباع مذهب غير منجها.

ومع هذا فليس نكر من العناء على أهل الدولة فلا سبل لهم إلى التكبر على القائلين بنزوم جمع الأقوال الموافقة لمقتضى المصلحة والعصر من كتب المذاهب وجعلها قانوناً جامعاً في المعاملات للسنيين بل هذا خير وسيلة لإصلاح القضاء ربما اغتفرت لفقهاء ماضي تفريقهم وحدة الأمة باسم التعصب للمذهب وكانت خاتمة اضطراب نظام القضاء في الإسلام.

ليس اضطراب حل القضاء في الإسلام بمجديد وليس الظنم والعنف الذي لاقاه المسنون من حكاهم الظالمين وحكوماتهم الجائرة إلا نتيجة توكنهم على ضعف القضاء خصوصاً ما يتعلق منه بولاية المظالم لا لنقص الدين أو الشريعة بل لنقص في طرق التقنين والتنفيذ.

إن الدين الذي يتزل على الظالمين صواعق الإنذار ويقرن الظنم بالشرك بالله تعالى ويأمر بإقامة ميزان العدل ويريد سعادة المجتمع الذي يدين به ما كان ظالماً ولن يكون وإنما المسنون أنفسهم يظلمون.

تعنون أن أحفل العصور الإسلامية بالعلماء والمفتين والفقهاء المتشرعين وأرقاها في سم المدنية الإسلامية عصر هارون الرشيد العباسي إذ الشريعة في إبان زهوها والتفريع في مبدأ مجده والأئمة المجتهدون هم القائلون بالتشريع وإلى كتبهم ترجع الفتوى.

في ذلك العصر الزاهر بمجد الإسلام وأعجاد العظام يرى يوسف صاحب أبي حنيفة من ضعف القضاء وتسلط عمال الجور واضطراب نظام ولاية المظالم ما يلجته إلى وضع كتاب الخراج لأمر المؤمنين هارون الرشيد وليس فيه إلا آية أو حديث أو مثال من قضاء الصحابة أي كنه من أصول تلك الشريعة الطاهرة يذكره فيه بالرجوع إلى قضاء الله ورسوله وأصحابه أو قضاء الجماعة المتين قائلاً: ارجع يا أمير المؤمنين إلى هذه الأصول في سياسة الرعية وجباية الخراج وتوزيع الفيء، اقعد يا أمير المؤمنين بنفسك للنظام وإنصاف المحكوم من الحاكم، أدرك الزراع فقد كاد يهلكهم الظلم فقد بنغي عن عمالك أنهم يقصون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد وأنهم فعنون مما لا يحل لهم بوجه من الوجوه.

هكذا الحال في عصر الرشيد وأئمة الشريعة أحياء يرزقون فما بالكم بما جاء بعده من العصور التي صار فيها التشريع إلى عدد لا يحصى من المخرجين والمرجحين والفقهاء والمفتين وكنهم يقولون قولي أو قول فلان هو شريعة الله المفتى بها والمعول عليها وما هو إلا تفككت نظام القضاء ونشئت قوة الجماعة فل حول وقوة إلا بالله.

والنتيجة أن ضمان العدالة الوحيد إنما هو قضاء الجماعة لا قضاء الفرد وأعني أن التشريع وحده غير كفيل بالعدل في القضاء إلا إذا أنيط كلاهما بالجماعة بالوضع والتنفيذ ولا تظنون أن هذا المطربش الواقف أمامكم يريد شيئاً جديداً في الدين أو قلباً لبيان الأحكام مع أنه ليس من عناء الدين ولا الأئمة المجتهدين.

كلا فليس قضاء الجماعة مجديداً في الإسلام بل هو من عصر الصحابة وهم واضعو أساسه اللتين في الدور الأول لنقضاء في الإسلام.

أما الدور الثاني فالذي اذكره أن دولتين من دول الإسلام تنبها إليه وعولتا عليه اولاهما دولة الأمويين في الأندلس التي جمعت في القرن الثالث داراً في قرطبة لشورى القضاء أعضاؤها من جلة العلماء يرجع إليهم في تقرير الأحكام.

والحق أقول أني لم أظفر بكثير بيان عن هذه الشورى لكن ما رأيته عنها في ثنايا الكتب التاريخية يكفي للدلالة عليها فقد ورد ذكرها في نفخ الطيب في ترجمة بعض العلماء كقوله كان فلان مشاوراً وطلب فلان إلى الشورى فأبى ونقل إلى ثقة عن كتاب من الأسف أنه غير موجود بين يدي بل هو في مكتبة دمشق وهو كتاب الأحكام للقرطبي ورد فيه ذكر هذه الشورى بقوله أن الشورى خافت الإمام مالكا في عدة أحكام أخذت فيها بقول أبي القاسم. وفي هذا دليل كاف على أنه كان لديهم سلطة في التشريع وأن الدولة الأموية ثمة كانت مسددة الأعمال حتى قيل ومنها وسقوطها حريصة على إجراء قوانين العدل بين رعيتهما.

أما الدولة الثانية التي تبنت إلى مثل ما تنبه إليه الأمويين فهي الدولة العثمانية لهذا العهد فإنها جمعت من علماء الأمة وفقائها الموثوق بفضلهم وعلوهم جماعة سمّتهم جمعية الجلة وذلك من بضع وثلاثين سنة انتخبوا من كتب المذهب قانوناً جامعاً لأحكام المدينة وهو المعروف بمجلة الأحكام العدلية وأقر على العمل به أهل الحل والعقد فصار مرجع القضاء في المحاكم إلى اليوم.

ديوان الرصافي

طبع بالمطبعة الأهلية في بيروت سنة ١٣٢٨ (ص ٢٣٠)

يعرف قراء هذه المجلة شعر معروف أفندي الرصافي بما قرأوه وله في مجندات المقتبس الأربع من الشعر الاجتماعي العذب المتين الذي كان فيه الفرد المقدم في العراق والشام أيام كان الكلام يحظر عني كل إنسان وقد اشتهر بذلك حتى وصفه بعضهم بأنه شاعر المقتبس ولا عجب فهذه المجلة تفاخر بهذه النسبة. وقد طبع هذه المرة ديوانه وأكثر من ثلاثة أرباعه مما نشر في هذه المجلة عني بتوبيه الشيخ محي الدين الحياط من أفاضل بيروت وقدم له مقدمة رائقة وجعله في أربعة أبواب الكونيات والاجتماعيات والتاريخيات والوصفيات ومن شعر الرصافي الأخير من قصيدة في جرائد الأستانة.

ولم يكفها هذا الخلاف وإنما ... أطافت بنقص الحقيقة زائد
فما بين مكذوب عليه وكاذب ... وما بين محمود عليه وجاحد
ترى في فروق اليوم قراء صحفها ... فريقين من ذي حجة ومعاند
جدال عني مر الجديدين دائم ... بتقيد رأي أو بتقيد ناقد

وقال فيها:

ولم أر شيئاً كالجرائد عندهم ... مبادئه منقوضة بالمقاصد
يقولون نحن المصلحون ولم أجد ... لهم في مجال القول غير المفاصد
وكيفيين الحق من نفاقهم ... وكل له في الحق نفثة مارد
وقال من قصيدة في وصف لبنان:

لبنان تفعل بالحياة جنانة ... فعل الزلال بغنة الظلمات
وترد غصن العيش بعد ذبوله ... غصناً يمد بفرعه الفينان
فكأن لبنانا عروس إذ غدا ... يزهر بنشر غدائر الأغصان

وكأنما البحر الخضم سجنجل ... ييدي خيال جهالها الفتان
 جبل سمت منه الفروع وأصله ... تحت البيطة راسخ الأركان
 تقفو الغصون به النهار وفي الدجى ... تقفو عليه ذوائب النيران
 وترى النجوم على ذراه كأنها ... من فوقه درر على تيجان

إلى أن قال:

لبست ربي لبنان ثوباً أخضراً ... وزهت بحيث الحسن أهرقان
 نشر الربيع هن زهراً موقناً ... يزرى بنظم قلاتد العقيان
 فبرزن من وشي الطبيعة بالخلي ... فكأنهن بحسنهن غوان
 وكان صنياً أطل مراقباً ... يرنو لمن بمقنة الغيران
 تلك الربى أما الجنا فواحد ... فيها وأما أهلها فاثنان
 رجل يسر إلى النجاح وآخر ... يسمى وغايتها إلى الحيران
 متخاذلين بما وهم اعواها ... ومن البلاء تخاذل الأعوان
 ضعفت مباني كل أمر عندهم ... ما بين هادمها وبين الباقي
 وتفرقوا دنيا كان لم يفهم ... في الثابتات تفرق الأديان
 وسعوا فرادى للنجاح وفاقهم ... أن التضامن رائد العمران
 وقال من قصيدة حول البومفور:

سفوح جبال بعضها فوق بعضها ... مكننة حافاتها بأشجار
 يروق بحبيها حرير مياهها ... ويشجي بقطريها ترفم أطياف
 ويجري النسيم الرطب فيها كأنه ... تبخر بيضاء الترائب معطار

معاهد زرها في الهواجر تنفها ... موشحة فيها برقة أسحار
 نزلنا بها والشمس من فوق أرسلت ... على منحني الوادي ذوات أنوار
 وقد ظل من بين الغصون شعاعها ... يوقع ديناراً لنا جنب دينار
 كأن النفاف الدوح والنور بينها ... جيوب من الأنوار زدت بأززار
 قيل إذا هبّ النسيم غصونها ... فتأني بظل في الجوانب موار
 ترانا إذا ما الطير في الدوح غردت ... تميل بأسماع إليها وأبصار
 وقال من قصيدة في التربية بعد أن شاهد مسرح الحيوانات في بيروت:
 كأنما الليث لم يخلق أحاطفر ... محدد الناب قذاً إلى العطب
 شاهدته مشهداً بدعاً علت به ... أن الفرائز لم تطع على شغب
 وإن خبث البرايا في طبائعها ... لا بد فيه سوى الأطباع من سب
 وإن ليث الشرى ما صيغ مفترساً ... لكن حالته قراساً يد الصغب
 وكم من الناس من قد راح مندفعاً ... بدافع الجوع نحو القتل والسلب
 وإن تربية الإنسان يرجعه ... إكسرها وهو من ترب إلى الذهب
 هذا إذا حسنت أما إذا قبحت ... كالمندلي بها يمسي من الخطب
 فكل ماهو في الإنسان مكتوب ... فلا تقل فيه شيء غير مكتوب
 أي أرى أسوأ الآباء تربية ... للابن أخرى بأن يدعى اعقاب
 والمرء كالنبت ينمو حسب تربته ... وليس ينبت نبع منبت الغرب
 من عاش في الوسط الزاكي زكاً خلقاً ... حتى علا في المعالي أرفع الرتب
 فاحرس على أدب تحبها النفوس به ... فإنما قيمة الإنسان بالأدب

وقد عني بتفسير ألفاظه النغوية الشيخ مصطفى الغلاييني منشئ مجلة النبراس الشهير فجاء الديوان موفور الخيرات من كل الجهات حرياً بكل من ذاق لمآظه من الأدب أن يقتنيه ويتدارسه فشعر الرصافي هو النموذج الراقي من شعر هذا العصر.

حكم إفرنجية

من الناس من فيهم الكفاءة ولا يرتقون لكن ليس منهم من يرتقون دون أن يكونوا على شيء من الكفاءة (لاروشفو كولد).

الأدب يظهر المرء في مظهره الخارجي كما يجب أن يكون عنده في مظهره الداخلي (لابروير).

علني من يريد أن يعمل الخير أن يعرف كيف يفكر بأن الحياة قصيرة لا ينبغي أن تضاع هنيئة منها عبثاً (فولتير).

علينا أن نعلم من نريد تعليمهم بالثال الحسن أكثر من أن نسن لهم الطرق ونخطط لهم الخطط فالثال هو الذي يعلم الرجال (شاتو بريان).

أنا نشعر بالألم الكثير من الملل من أيام السعود أكثر مما نشعر بسرور الاستمتاع في أيام النحوس (بالزالك).

عاش من عرت نفسه من الأوهام.

لا يكفي المرء أن يكون له عقل حتى يخلص من البهسية بل يجب أن يعرف كيف يستخدم عقله.

السعادة كالطير الأخضر الذي يقترب منك ثم يقفز قفزة صغيرة فلا تقدر أن تمسكه.

انتظار المدعو إلى دعوة إذا تأخر عن الميعاد قلة احترام لسائر المدعوين الحاضرين.

التغاضي عن الراجبات الصغيرة مدرجة إلى ارتكاب الأغلاط الكبيرة.
 يمتص النحل والزنبور من زهور واحدة ولكن كلاً منهما لا يعرف أيجاد العسل نفسه.
 مما يدل على المروءة التامة تعرض المرء لانظار أرباب المروءة.
 يؤثر النساء أن يغتن في فضيلتهن على أن يطعن في فكرهن وجهالهن (دوماس).
 الشهوة العظمى هي زهرة عاصفة لا تثبت إلا على حجر ضربه الأعاصير.
 لنا إلا ثمرة نشوتنا.

الأفكار الحسنة كسمامير من نحاس تنغرس في الروح ولا تستخرج منها قط.
 في الاعتبار عزاء عن كل شيء.

من الفقهات ما يخرج كصوت القنابل لا يفيق منها صاحبها.
 الفكر الجليد هو مثل زاوية لا يمكن إدخالها إلا من الأنشطة الكبرى.
 سنسة الزواج ثقيلة جداً لا سبل إلى حلها إلا إذا استعد لها المرء واقفاً على قدميه.
 الأسنان كالكلاب كنما أعطوا قضوا.

إننا نجور في شفقتنا وذلك لأننا نتأثر لمصاب عرضي لعرض لنسعداء أكثر من تأثرنا
 لمصاب دائم يلزم البائسين.

كثير من الناس يرون السياسة عنم الربح بدون رأس المال.
 من الصعب على الأغنياء أن يحرزوا الحكمة أكثر مما يصعب على الحكاء أن يمحسوا
 الثروة.

إذا لم يستطع أرباب العقول أن يمحسوا الانتفاع من الأغنياء فنا الفائدة من عقولهم
 (رنان).

التأمل يكمل الأخلاق بدون أن يغيرها كما أن القواعد تخدم القرائح ولا تساعد على الانبعاث.

تتألف الحياة التي نستطيعها من كثير من الأيام التي نستطيعها أيضاً. جسم جميل في روح خبيثة كفية حسنة وفيها ملاح رديء. لا تكن محتاجاً إلى الأمل لتشرع في عمل ولا إلى النجاح حتى تظل مداوماً على ما أنت آخذ في سبيله.

تشهد الحياة الرجال في باريز كما تشهد السكين على المسن ولكنها تثلثها. في اجتماع الرديء النظام تشبه القوانين بيوت المناكب تعثر فيه الهوام الصغيرة أما الكبيرة فتفلت من أطرافه.

ثلاثة أمور صعبة الاحتفاظ بسر وتحمل الأذى واستعمال أوقات البطالة (فولتير). لا تكن ساذجاً ولا خبيثاً.

اذهب مثاقلاً إلى ضيافة أصدقائك وسارع إليهم كثيراً في أيام بؤسهم. أكثر الرياء خطراً ما أحاط بنا من المخطاط المحيطين بنا. كثيراً ما يخفق رجل العقل في مشاريعه لأنه يخاطر كثيراً (مونتسكيو). حب الجند في القنوب الكبيرة يشغل المكان الذي يمنؤه العجب في النفوس الصغيرة. لا تكرر كلمة جافة شائنة وإذا سمعت كلمة في قريبك فاكتبها في صدرك ف، ك لا تضيق بها ذرعاً.

ثلاثة أمور تعني قيمة الهدايا الإحساس والمناسبة وأساليب الهدية. اني استحسن الرياضات التي تعلمنا احتقار الحياة على شرط أن لا تدخل فيها حياة الغير.

الناس يستمعون النسيمة عَنَى ما يكرهون أكثر من استماعهم مديح ما يحبون.
 كثيراً ما ترى للناس ميلاً طبعياً للقيادة لمعونة الرجل الأقوى فيهم.
 من سيئات المساواة هو أننا لا نريدها إلا مع الأعلى منا مقاماً.
 التسليم بالقضاء والقدر هو سعادة من ليس لهم سعادة.
 الآلام خير من تعذيب الوجدان.
 المناكدة شقاء الصالحين.
 قام كل عمل عظيم في العالم ببركة اجابة نداء الواجب وكل اثر سيء في العالم قام باسم
 المصلحة.
 لا تبهر الفضائل الصغرى الأنظار بل تعطر صاحبها فهي بنفج الروح.
 إن المنجم الذي لا ينضب تعدينه عَنَى كثرة تعاور الأيدي عليه منذ أزمان هو منجم
 الحق البشري.
 من الناس من يتكلمون قبل أن يفكروا هنيهة أي يسبق كلامهم تفكيرهم.
 لا تشاور في موضوع القيام بالواجب.

غرائب الغرب

تاريخ عمران باريز

لعل باريز في الأصل إحدى تلك الضياع التي كان الغاليون ينشئونها في جزر الأهمار
 الكبرى أيام كان سهل عليهم أن ينشئوا جسوراً يتخذونها مجازاً إلى طرق مهمة وأول

ذكر ورد لها ولسكانها في التاريخ كان ٥٣ ق. م فدعا القيصر ساكنيها باريزيا كما دعا المدينة لوتيتيا وضم إليها سنة ٥٣ نواب الأمم الخاضعة.

مضى زمن لم يمتد فيه عمران المدينة خارج الجزيرة الأصلية ثم استفاض عمراننا على الشاطئ الشمالي على عهد الإمبراطور كونستانس كنود الذي أنشأ فيها قصراً تسمى بقاءه اليوم بقصر الترم وسكن فيه جولين لما نادى به جنده قيصرًا وكانت الجزيرة محاطة بمزاريس وفيها قصر تفصل فيه الأمور البندية ومذبح عني اسم جوبيتر أقامه الملاحون الذين كانوا يغدون ويروحون في تجارة همر السين وفي سنة ٢٥٠ غدت لوتيس مركزاً أسقفية وعني ذلك العهد أطلق عليها اسم باريزي وهو اسم الشعب الذي يسكنها وكانت عاصمة بلاده فتحت باريز أبوابها للفرنك سنة ٩٧٤ فدخل قصر الترم كنوفيس ثم ماتت القديسة جنيفاف حامية باريز ووقف العمران على عهد الكارولنجيين بل تراجع فنقل الإمبراطور شارلمان عاصمة منكه إلى اكس لاشبل وما كان يقيم في باريز إلا نادراً وكان عهد خلفائه عهد شقاء.

وكانت القرى في شمالي المدينة وجنوبها تؤسس تحت حماية الأديار وكثيراً ما كانت تخرب بأيدي أشقياء من السكان أو بغارات النورمانديين وفي سنتي ٨٨٥-٨٨٦ جاء النورمانديون وعددهم ثلاثون ألفاً وعسكروا أمام جزيرة المدينة وحاصروها ثلاثة عشر شهراً وبهذا الحصار افتحت باريز أيام سلامتها وأصبحت كما قالوا رأس فرنسا وقلبها.

وفي القرن الحادي عشر والثاني عشر امتد عمران هذه القاعدة وانشئت فيها أديار وبيع ومستشفيات ومدارس وأقيم لها في أيام لويس السادس عدة ينظر في شؤونها وأمور ضبطها وربطها وبدأ فيها العمران المادي. أو على عهد فيليب اغسطس وهو أهم دور من

أدوار عمران هذه العاصمة كثرت الكنائس الكبرى وأست الأديار والمدارس ودور المرضى والأسواق والجاري وأحواض المياه والفساقي والمرافئ وفي سنة ١١٨٥ أخذوا يبنطون شوارع المدينة لنسرة الأولى وفي سنة ١٢٠٤ أنشئ قصر النوفر وبعد ذلك جمعت مدارس باريز وكان عدد طلبة عشرين ألفاً وجعلت منها مدرسة جامعة أطلق عليه اسم الابنة الكبرى للنسوك (السوربون) وأخذ سكان المدينة ينمون حتى بلغ عددهم سنة ١٣٢٣ — ٢٧٥ ألفاً وصرفت العناية منذ زمن شارل الخامس إلى لويس الثالث عشر في تزيين مدينة باريز وتطهيرها وأنشئت فيها فنادق جميلة.

ولقد كانت القرون الوسطى عني باريز كما كانت عني فرنسا قرون مصائب واضطراب فاستباح الإنكيز سنة ١٤٢٠ حتى باريز وحاولت الفتاة جان دارك عني غير طائل أن تطردهم عنها فذهب سعيها عبثاً ومنذ سنة ١٤٠٨ إلى ١٤٢٠ أكثر الأرمنياكيون من ذبح سكان باريز التي احتلها الإنكيز من سنة ١٤٢٠ إلى ١٤٣٦ وجاء طاعون جارف عني الأثر أهلك الكثير من سكانها ومع هذا لا تزداد عروس الغرب إلا عمراناً.

وفي سنة ١٥٣٣ وضع الحجر الأول في أساس دائرة المجلس البندي الذي هو مفخر من مفاخر البناء في هذه العاصمة كما أسس قصر التوينري المشهور عني أيام شارل التاسع وعادت باريز فأصبحت ميداناً لقتل من دانوا بالمذهب البروتنتي من أهلها وانتشرت الفتن الدينية زمناً وأصبح القول الفصل فيها للمتعصبين والجامدين.

وفي خلال ذلك اشتد فيها القحط فاهلك من سكانها ثلاثة عشر ألفاً وكثرت الفتن عني الملك وقتل بعض منوكها وبدأ عهد لويس الثالث عشر بالارتقاء المادي والعقلي فجعلت باريز سنة ١٦٢٢ مقر رئيس أساقفة وكانت أمقفيه صغرى وفي سنة ١٦٢٠ أنشئت

مطبعة الأمة سنة ١٦٢٦ أنشئت حديقة النباتات سنة ١٦٣٥ أسس الجمع العلمي وأنشئت بعض الشوارع والساحات وغرست بالأشجار وكثرت الحارات والأحياء الجديدة واتصل العمران بالقرى المجاورة حتى تضاعفت مساحة المدينة وعلى عهد لويس الرابع عشر أخذوا يضيئون الشوارع بمصابيح يجعنون فيها شموعاً وذلك في الليالي الغير القمرية.

ولقد نشط هذا الملك البحث في التاريخ والصناعات والعلوم بإنشاء الجامعات الأثرية والصناعات النفيسة والعلوم وبتخصيصه للناس أن يختلفوا إلى المكتبة وكانت من قبل خاصة بالملوك فقط. وكان عهد الوزير كولبر المشهور عهد عمران هذه العاصمة الذي لم يسبق له نظير وزاد سكانها حتى بنفوا نحو ٥٦٠ ألفاً وعلى عهد لويس الخامس عشر طبعوا أسماء الشوارع على صفائح من توتيا وجعلوها في رأس كل شارع واستعاضوا عن مصابيح الشموع القديمة بمصابيح الزيوت.

ولما جاءت ثورة سنة ١٧٨٩ كثر عمران باريس إذ أعقب تخليص الأراضي من الكنائس والبيع لتنشأ فيها الشوارع والجادات وكثرت الأبنية العامة والخاصة والمعاهد العلمية والصناعية والحدائق العامة والمدارس الكبرى ولئن كان من الثورات التي حدثت بعد ولا سيما فتنه سنة ١٨٤٨ ما نشأ عنه بعض الأضرار على العمران إلا أن المهم كانت أعظم لتعير منها لتخريب وقد جاء عشرون ألفاً من الألمان واحتلوا سنة ١٨٧١ بعض أحياء المدينة عقيب الحرب التي فشل فيها الفرنسيين في موقعة سدان وعاد الألمان من حيث أتوا بعد ثلاثة أيام.

وكان عهد عصابات الكومون بعد ذلك من أشأم أيام الخراب على عمران باريز فتقوض بها ٢٣٨ داراً خاصة وعامة وقتل سبعة آلاف جندي وقتل وجرح خمسمائة ضابط وقدرت الخسائر بشماتمة وستين مليوناً من الفرنكات وكثر بعد ذلك العمران باستياب أسباب الراحة وكان من المعارض الثلاثة التي أقامتها باريز سنة ١٨٧٨ و ١٨٨٩ و ١٩٠٠ ولا سيما المعرض الثاني الذي أقيم تذكراً لمرور مئة سنة على الثورة الفرنسية الأولى أعظم مظهر من مظاهر الصناعة عند الفرنسيين وأول دليل على ارتقائهم التدريجي الذي لم يقف قط عن الجري.

إجماليات في عمران باريز

١٢

باريز واقعة في الدرجة ٤٨ ٤٩ ٥٠ من العرض يشقها نهر السين إلى قسمين غير متساويين من الشرق والجنوب الشرقي ويتخللها في وسطها عدة آكام وجبال مهدتها حتى غدت كأنها بعض أجزائها منها يبلغ ارتفاعه ١٠١ متر ومنها ١٢٨ ومنها ١٣٦ ومنها أقل من ذلك وتبلغ مساحتها ٧٨٠٢ هكتار ومحيطها ٣٦ كيلومتراً. وطولها من الشرق إلى الغرب نحو ١٢ كيلومتراً وعرضها من الشمال إلى الجنوب نحو تسعة كيلومترات وطول طرقها العامة ٨٨٨٠٠٠ متر فيكون مجموع مساحتها السطحية ١٥٣٢ هكتاراً ولها ٧٠ باباً أو منفذاً منها ٥٧ باباً و ٩ طرق للسكة الحديدية وطريقان لبحري السين وطريقان للترعة سان ديني ولورك وعدد سكانها بحسب الإحصاء الأخير ٢٧٦٣٣٩٣ وباريز بالنسبة لحجمها أكثر المدن ازدحاماً إذا قيست بالمدين الأوربية ومعدل الزواج فيها كل سنة ٢٥ ألفاً والولادات ٦٥٠٠٠ والوفيات ٥٠٠٠٠.

وتقسم من حيث أمورها الإدارية إلى عشرين قسماً لكل واحد منها عمدة وثلاثة أو خمسة مساعدون ولباريز ٢٣٤٥ زقاقاً و ٨٢ جادة كبرى و ١١٥ شارعاً و ١٦٦ ساحة و ٤٠٦ طرق غير نافذة و ٤٦٨ ممشى و ١٥٤ قرية و ٤٩ مصيفاً و ٧١ مجرى عاماً و ٤٢ رصيفاً و ٣١ جسراً و ٤٨٠٠٠ بيت وتنتد الطرق المغروسة بالأشجار وفيها ٨٧٠٠٠ شجرة غلى طول ٢٧٠٣٦٣ متراً وفيها ٨١٠٣ مقاعد لجنوس الناس في الطرق والشوارع والساحات والحدائق. تضاء باريز في الليل بنحو ٥٢٣١٣ ضوء غاز و ١٥٧٥ مصباحاً كهربائياً وقوة القوى الكهربائية فيها للشركات الخاصة والعامة في باريز ٢، ٣٠٠، ٠٠٠ مصباح كل واحد ذو عشر شمعات. ويجري ماء الشفة إلى مدينة باريز في قساطل من عدة ينابيع صافية نافعة خلافاً لما يدعيه بعض المتجرين بالخبور من أن ماءها مضر بالصحة حتى ينفقوا خمورهم ومعدل ما يجري منه إليها ٣١٠، ٠٠٠ متر مكعب يأتي إلى ٨٤ ألف محل من البيوت الخاصة و ٧٤٣٣ مضخة لتحريق و ١١١، ٦٩٥ محلاً لشرب المارة ويجري إليها ماء للاستعمال غير صالح للشرب وهو للصناعات وغيرها يجري في ٦٤٦٠٠ آلة عامة.

في باريز ١٦٠٠٠ عربة بالخيول وأكثرها بمحضان واحد والمركبة ذات الحصانين هي في الأكثر عربات خاصة بالأعيان وأرباب الفنادق وفيها ١٣٠٠٠ أوتومبيل كبير تنقل زهاء ٣٠ مليوناً من الناس في السنة و ١١٩ خطأ م خطوط الخوافل (أومنيوس) والترامواي وفيها ٢٥٠ عجلة أومنيوس و ١٩٠٠ مركبة كهربائية تنقل في السنة ما لا يقل عن ٣٠٠ مليون راكب وعشرة آلاف مركبة خاصة و ١٢٠٠٠ سيارة (أوتومبيل) وقد كان في فرنسا في السنة الماضية ٤٤٧٦٧ أوتومبيلاً و ٤٠٠٠٠ مركبة نقل ولا تدخل فيها

الكيونات وفي باريز ١٦٠ ألفاً من الدراجات و ١٠٦٠ مراكب نهرية تحمل نحو ٢٣ مليون راكب في السنة وسككها الحديدية الخدقة بها تحمل ٣١ مليوناً ويركب من الست محطات الكبرى فيها زهاء ٧٧ مليون راكب ومنهم يأتون إليها.

ويلزم لباريز في السنة ٢٩٢ مليون كيلو من الخبز و ١٥٩ مليون كيلو من اللحم و ٣٦ مليون كيلو من السمك و ٦٦٩ مليون بيضة و ٣١ مليون كيلو من الطير والصيد و ٦ ملايين هكتولتر من الخمر و ٦٩٢٠٠٠٠ من الجعة و ١٢٠٠٠٠ هكتولتر من سائر المشروبات الروحية.

وفيه ٣٠ ألف فندق وحنانة وقهوة ومطعم يعيش منها مئة ألف نسمة ولتجارة الأطعمة ٢٤٥٠٠ محل يعيش منها ٩٠ ألف شخص ولتجارة الفرش والأثاث ٣٢٠٠ محل وعدد البيوت والمخازن التي تباع الأمتعة والثياب والأزياء ٩٥٠٠ محل فيها ٧٢ ألف عامل وعاملة وعدد محال الأطعمة ومعانها ٧٥ ألفاً فيها ٤٣ ألف مستخدم وخمسة آلاف عامل وعاملة فيكون مجموع من يعيشون من هذه الحال نحو مليون نسمة.

وأكبر وسائل النقل وأسرعها في مدينة باريز السكة الحديدية الكهربائية تحت الأرض التي يسوقها المتروبوليتين وهي تدل على عظمة العقل وآخر ما وصل إليه الإنسان من الخفن وليس لهذا الخط نظير في سعة وجدته في برلين ولا في لندرا افتتح الخط الأول منه سنة ١٩٠٠ وله الآن ستة خطوط منها ما طوله عشرة كيلومترات ومنها أكثر وأقل إلى السبعة عشر كيلومتراً تربط أجزاء المدينة بعضها ببعض وينتقل الراكب إن أحب من فرع إلى فرع آخر بدون زيادة أجرة وقد تم الخط الرابع منه هذه الآونة وهو يسير تحت نهر السين ويكلف كل كيلومتر من هذا الخط ثلاثة ملايين فرنك وهو سريع نظيف

رخص يدفع الراكب في الدرجة الأولى ٢٥ سنتيماً وفي الدرجة الثانية ١٥ وقد نقلت هذه السكة الحديدية سنة ١٩٠٩ : ٢٥٤٤٥٩٩٢٠ راكباً وكان عدد من أقتهم في السنة التي قبلها ٢٢٩ ، ٧٠٠ ، ٥١٩ وكانت أرباحها سنة ١٩٠٨ نحو أربعين مليار فرنك فأصبحت في السنة التالية زهاء أربعة وأربعين ملياراً وهم يعملون أبدأً على تهويته على طريقة لا تخليه من الهواء النقي ويذرون فيه المواد المضادة للتعفن وقد يتأذى بالركوب فيه بعض ضعاف المزاج ولكن ذلك من كثرة الازدحام فيه لا من شيء آخر.

علم المشرقيات

١٣

لا يتأتى لغريب عن أمة أن يعرفها حق المعرفة إلا إذا درس لغتها وتاريخها وآدابها. واللغة مفتاح باب كل معرفة ومقدمة بين يدي كل عمل. ولذلك كان من الراغبين في درس أحوال الشرق من أهل أوربا أن يدرسوا لغاته ليحيطوا خبراً بأهله وكان للغة العربية المقام الأول بين تلك اللغات لأنها لغة أمة ذات حضارة باهرة ودين دان به أهل الأقطار المعدلة من صميم الشرق.

فتوفروا على إحكام العربية وتنافسوا في تعليلها حتى نبغ منهم أناس لم يقلوا في فهم أسرارها عن خنص أبنائها الذين نشأوا في حجرها وأحكموا منكة نظنها ونشرها وكان لفرنسا من بين ممالك الغرب يد طولى في هذا المضمار. وكل ممنكة من ممالك أوربا وأمريكا لا تخلو من أفراد من أهلها أنفسهم يعانون حل معضلات لغة العرب وينسلون إلى تلقفها من كل حذب.

ولقد دعوا تعلم هذه اللغات وما ينبغي لها علم المشرقيات أو الاستشراق والمشتغلين بها علماء المشرقيات أو المشرقين وقديماً كان العارفون من أهل هذا الشأن من الفرنسيين أكثر من غيرهم وقد أصبحوا اليوم وأكثرهم من الألمان. والألمان أمهر الغربيين في النطق بالنسان العربي وأكثرهم نبوغاً فيه وعند الألمان من علماء المشرقيات بقدر ما عند الفرنسيين والنسويين والجرين والإيطاليين والهولنديين والإنكليز والروس والإسبانيين والبرتغاليين والأمريكين والبلجيكيين وكثرة عدد وحسن معرفة ولا عجب فالألمان نبغوا في كل شأن من شؤون الحياة والعلم والصناعة ودرس العربية كان له النصب الأوفر من عنايتهم.

وقد اشتهرت في فرنسا الجمعية الآسيوية ومدرسة اللغات الشرقية الحية وقد درست أحوالها وزرقتها غير مامرة وهاءنذا الخص للقارئ ما عرفته عن الجمعية الآسيوية بواسطة صديقي الميسر لوسين بوفّا أحد الأعضاء العاملين العالمين في الجمعية المشار إليها فقد كتب إليّ ما تعريبه: إن فكر تأسيس جمعية علمية تعنى بدراسة الشرق قد جرى البحث فيه منذ أواسط القرن الثامن عشر ولكنه لم يتم إلا بعد زمن طويل. فقد أنشئت الجمعيات الأولى للباحثين في المشرقيات خارج أوروبا مثل جمعية العلوم والفنون في باتافيا (١٧٧٨) والجمعية الآسيوية في الينغال (١٧٨٤) والجمعية الآسيوية في بومباي (١٨٠٥)

ومنذ ذاك العهد أنشئت في أوروبا وأمريكا عدة جمعيات للمشرقين ولكن أقدمها عهداً الجمعية الآسيوية في باريز أمت سنة ١٨٢٢.

وعلى ذلك العهد رأى جماعة من مستشاري الفرنسيين أن الحاجة ماسة إلى أن يجتمعوا أو يجنوا مواد الدروس المختلفة الضرورية لهم وأن يصدرها لجنة تكون لسان حالهم وقائمه أعينهم. وكان المسير ديلاستي أنشط هؤلاء العلماء وبفضله أسست اللجنة الآسيوية التي ناب في رئاستها ما يقرب من ثلاثين سنة وكان الرئيس إذ ذاك سلفتردي ساسي أحد أعضاء الجمع العلمي وأستاذ مدرسة فرنسا ومدرسة اللغات الشرقية وهو أعظم من خدم اللغة العربية في فرنسا وربما كان أعظم مستشرق نبغ ونفع الفرنسيين وكان من مؤسسي الجمعية أيضاً كوسان دي بوسفال وكارسين دي فاسي ورموسا.

فبدأت الجمعية أعمالها لأول تأسيسها بشهر اللجنة الآسيوية التي اختصت بالبحث في لغات الشرق وتاريخه وعلمه وآثاره ولا تزال إلى اليوم نموذج العلم الراقي وسيدة الجلات الإحصائية في فرنسا.

وأنشأت الجمعية خزانة كتب جمعت فيها كل ما وصلت يدها إليه من الكتب والمخطوطات والرسوم وغيرها مما يفيد العلماء من أعضائها وجمعت أيضاً مجموعات من النقود القديمة والتحف البديعة. ونشرت مصنفات في تاريخ الشرق وأصول لغاته وفلسفه وأديانه وطبعت على نفقتها عدة مصنفات وساعدت كثيرين مساعدات أدبية ومادية على نشر الكتب النافعة وكان نشر المخطوطات وترجمتها من أهم الأعمال التي تعنى بها. وخصصت جلساتها في سماع المراسلات والمناقشات العلمية النافعة كما عنت بمراسلة العلماء الأجانب على الدوام والانتفاع بآرائهم وأعمالهم.

وإذ قد ظهرت منافع الجمعية الآسيوية سنة ١٨٢٨ عادت بعد أن ضعف أمرها بضع سنين إلى مكانتها الأولى ولم تلبث أن قويت عن ذي قبل وانتشرت كلفتها فرأسها أمثال

سلفستردى ساسي ثم جوبر ورينو وموهل وكارسان دي تاسي ورنيه ورنان وباريه دي مينار وسينار. ومن جهة رؤسائها الثانويين كوسين دي برسفال وبارتلي سان هينر ودفوني وبوريه دي كورتيل وماسيرو ورينس دوفال وبين امنا سرها ايل ريمورا وجايس ودار مستر وشافان.

تفتت الجمعية منذ تأسيسها في عدة أماكن ومنذ سنة ١٨٨٣ اتخذت لها مقراً في بناء ملاصق للمجمع العلمي وذلك بفضل رئيسها إذ ذاك رنان الفيسوف المعروف ونالت من الحكومة الفرنسية عدة معونات رسمية ومنحت الجمعية مكتبة الأمة الكبرى عدة كتب ومخطوطات وغيرها من النفائس ولا سيما المخطوطات التي أتت بها من الهند والجموعة التبتية وكتب الديانة البوذية.

وما عدا المجلة الآسيوية التي تصدرها الجمعية في نحو مائتي صفحة كل شهرين ويتألف منها مجلدان كل سنة فقد نشرت على نفقتها ٢١ مصفاً تتألف من نحو ٤٠ مجلداً وبعض هذه المصنفات طويلة الذيل مثل مروج الذهب للمسعودي نشرته بنصه العربي وترجمته إلى الفرنسية وهو في تسع مجلدات ونشرت رحنة ابن بطوطة في أربع مجلدات وكتاب الماهافاستو في ثلاث مجلدات.

وهذه الجمعية تمنح كل سنة معونات لبعض المؤلفين في الموضوعات العلمية. وأعضاؤها اليوم ٢٥٠ عضواً منهم ٢٦ من الأجانب وهي تبعث مجلتيها إلى نحو مئة جمعية علمية ومدرسة جامعة أو مجلة دورية وإلى ثمانين مكتبة من مكاتب العالم على يد نظارة المعارف الفرنسية وللمجلة ١٣٠ مشتركاً ليسوا من الداخلين في الجمعية. وقد بلغت وارداتها سنة ١٩٠٨: ٢٥٦٣١ فرنكاً و٦٦ سنتياً وفي مكتبها نحو اثني عشر ألف مجلد من

الكتب و ١٥٠٠ صفحة و ٢٠٠ كتاب مخطوط وفيها مجموعة من النقود القديمة هذا إجمال حال الجمعية الآسيوية وفيها من الأعضاء من لا فائدة منهم ولا رابطة بينهم وبين الغرض الذي ترمي إليه إلا أنهم يؤدون الراتب السنوي المضروب عندهم ويتناولون اجنحة لقاء ذلك وكثير منهم لا يعرفون من أحوال الشرق ولغاته وأصول مكانه أكثر مما نعرف نحن عن الصين وتبت.

أما مدرسة اللغات الشرقية الحية وهي التي تقرئ مبادئ اللغات الشرقية وهي مخرج لأعضاء هذه الجمعية وغيرهم ممن يتولون القنصليات والترجمة والسفارة عن حكومتهم في بلاد الشرق فاسمها فيما أرى أكثر من نفعها وما دامت فرنسا تراعي الخواطر في توسيد وظائف التدريس لغير الأكفاء فإن تعميم اللغات الشرقية يبقى صورياً لا حقيقياً. وهيئات أن ينشأ لفرنسا وهي على هذه الحال أمثال المستشرقين الأول من أبنائها الذين باهت بهم الأمم مادامت سوق الشفاعات رائجة عندها.

درس من سلاتيك

١٤

بينما كنت مأخوذاً بما أشاهده من مظاهر عظمة الأمة الفرنسية وأقرأ مثلاً مجسماً من الارتقاء الغربي ولا أفرغ ليلي ولا لهاري من زيارة المعاهد العلمية وحضور الدروس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وأغوص في مكاتب باريس ولا سيما مكتبة الأمة

ومكتبة السوربون وبيننا تكاثرت عليّ المواد وأنا لا أعرف بأي لسان أعبر ولا بأي قلم أحبر وبيننا أنا أفكر في بلادي وما يجب عليّ أن أكتب لها مما تأثرت به عواطفني وأخذ بمجامع قلبي حمل إليّ البريد من سلانيك كراسة باللغة الإفرنسية من قلم صموئيل سام أفندي ليفي رئيس تحرير جريدة سلانيك الفرنسوية وهي محاضرة ألقاها في نادي الإتحاد الرياضي في ذاك الشجر أواخر الشهر الماضي عقيب عودته مع جماعة العثمانيين الذين ذهبوا لزيارة بلاد النمسا والمجر منذ مدة فرأيت أن أخصها للقراء ليعلموا إن تأثر العثمانيين واحد عند زيارتهم الديار الأوروبية وأن ابن سورية إذا أقامه ما شاهده في غربي أوروبا وأقعه بما فيها من آثار العمل والجد فإن ابن مكدونية لا ينقص عنه تأثراً في ما شاهده من أواسط أوروبا وشعور أبناء الوطن واحد. قال الكاتب السلانيكي:

في ستة وعشرين يوماً ساج مائتان وخمسون رجلاً من أهالي الأستانة وسلانيك وأزمير وغيرها من مدن الداخلية سياحة كبرى قطعوا فيها ٤٥٠٠ كيلومتر في الكك الحديدية و ١٥٠٠ في البواخر والعجلات والسيارات وعلى الأرجل فوقنا في خمس وعشرين مدينة كبرى وصغرى وزرنا نحو ١٥٠ داراً صناعية ومعهداً علمياً أو مدرسياً وفنياً وإدارياً ومتحفاً وغيره وحضرنا مئة دعوة وغيرها أقامت لنا ١٥ جمعية و ٢٥ غرفة تجارة وحكومة النمسا والمجر فلم يبق من تلك الرحلة التي تذكرونا الساتحين جولن وماين ريد إلا أن نذكر شيئاً من ذلك الحلم الذي مر علينا في رحلتنا ونسبت من تلك الأشباح لنحسن الانتفاع بها في مادياتنا وتكون لنا علماً ودرساً نافعاً ولقد كانت غايتنا من رحلتنا اقتصادية لندرس دور الصناعات والأوضاع التجارية والمدرسية والإدارية عن أمم ولكن المسائل الاقتصادية والاجتماعية كما قال البارون هنوموتسكي فيما خطبنا به لها مساس

كني بالمسائل السياسية وبينها روابط ولوازم ولا سبيل إلى البحث في الأولى مع إغفال الثانية.

ولقد كنا نقضي العجب من كل ما يقع نظرنا عليه حتى كنا نتساءل عما إذا كان ما تقع عليه أنظارنا من مدهش الأعمال هو من صنع أيدي البشر وهم الذين قاموا بهذه العجائب وبحق ما قاله النائب الدكتور رضا توفيق رئيس جماعتنا السائحين عندما غادر النساء إن أغنى اللغات عاجزة عن بيان الشعور الذي تتأثر به كلنا كنا ينبغي لما لقيناه من الحفاوة الحارقة للعادة مدة مقامنا في بلد بلغ هذه الدرجة من الرقي. نعم لقد تجملت لنا بلاد النساء واخر مكنكة دخل إليها التجديد من كل أطرافها وتناول كل فرع من فروع أعمالها الخاصة والعامة.

وكثيراً ما اتفق لنا أن زرنا معهدين أو ثلاثة في فرع من فروع الصناعة وفي أقاليم مختلفة فكنا نجد في كل منها أساليب العمل التي يقضي بوجودها العلم أعمالاً كسالية تابعة وتحينات خاصة ومحنية تدل على الإقدام الذاتي وقوة إرادة شخصية وحب في البحث وكلها ظواهر محسوسة لعمل عام ونشوء متواصل. كنا نشهد ذلك في كل الفروع الصناعية والفنية والمدرسية والإنسانية. ولكثرة عنايتنا بالسؤال عن معاهد الإحسان ومعونة العنة تراءى لنا أن النساء في مقدمة الأمم في هذا الباب ومن ذلك أن ٤٢٠٠ من العنة العاجزين يعيشون في لايزر بالقرب من فينا لا على قدر الكفاية فقط بل يعيشون كما يعيش الملوك. وما ننس لا ننس منجأ المرضى العصبيين في شنهوف وفي ٣٦٠٠ عامل يعاملون كما لو كانوا في قصور منكية وهم موزعون على ٦٤ بناية في

مسافة من الأرض تتجاوز مساحة مدينة سلانيك وقد صرفت عليها حكومة النمسا السفلى ستين مليون كورن فقط لا غير .

وبينا كان رفقايني في رحلتي يدهشون من زيارة المعامل والمصانع ودور الصناعات على اختلاف أنواعها في بلاد المجر والنمسا ومورافيا وبوهيميا وسيريا وغيرها كان يلفت نظري خاصة منظر اتفقوا على تسميته باسم مملكة هابسبورغ. فإن هذه المملكة هي في الحقيقة رقعة شطرنج فيها غرائب الفسيفساء من العناصر المختلفة والوطنيات الغير متجانسة ولكن هذه الجماعات على اختلاف أصولها قد اجتمعت ليكون مجموعها مثال جمال ولطف وتنوع وما كانت وحدة هذا المزيج إلا نتيجة نظام الحكومة المركزية وحسن مآثها وبعد نظرها فرأت أن تترك لكل قوم استقلالاً إدارياً كان غاية الغايات في إبداعه وبذلك توقفت الصدمات الهائلة ولم يحدث حتى الآن ما يكدر صفو الراحة. وهذا الرأي في توسيع سلطة الأقاليم لم يكن منه الوحدة الجمهورية فقط لما فيه من احترام القوميات بل نتج منه ارتقاء خارق للعادة في جميع فروع العمل وذلك أن كل قطر له من نفسه غنى طبيعي غزير ورجال نوابغ أذكاء هم خيرة رجاله فاستطاعوا الانتفاع بما حوت بقاعهم وكان من ذلك أن استوعب كل جماعة بما لهم من الحقوق فنشأت المنافسة بين العناصر المختلفة وأخذت كل واحدة منها تضاعف عنايتها وتكثر من جهادها فأوجدوا بذلك مجموعة من بدائع الأعمال متنوعة الأساليب تمت في عامة فروع الجهاد الإنساني وكان ذلك من أهم المشاهد وأجملها التي وقع نظرنا عليها في رحلتنا وأحسن معلّم لنا معاشر العثمانيين.

تألفت محكمة هابسبورغ من زواج أمراء بعضهم من بعض عني حين كانت الانقسامات الداخلية سبباً لضعف تلك المحكمة ولطالما طحت بها مطامع جيرانها واعتدأواهم ولكن لما عازمت الحكومة أن تمنح العناصر المختلفة التي يتكون منها جسم المملكة دستوراً قائماً عني المبادئ الحرة في مراعاة الحق العام الحديث بدأ نهوضها وارتقاؤها إلى الأمام.

فعني نواب العثمانيين في مجلسنا النيابي أن ينظروا في أمر العناصر العثمانية ويحنوها كما حنتها النمسا والنجر التي كانت في حالة أشبه بحالتنا اليوم منذ نصف قرن فأحسنت حلها عني ما يجب فهي سابقتنا في هذا الباب وما عينا إلا أن نأخذ عنها وبذلك نأمن العثرات ولا نسير عني غير هدى.

وهنا التفت إلى رفاقي في الرحلة الذين دخل عليهم اليأس من ارتقائنا لما شاهدوه من الشروط البعيد الذي قطعه جيراننا.

فأقول لهم أن ما شاهدناه عندهم ليس إلا ثمرة عمل عظيم وجهاد منظم وإرادة قوية وأساس راسخ وإذا أحببنا أن نبذع بأمثنا منهم فما علينا إلا أن نمد نحن يد مساعدتنا للدستور ونستخدم جميع القوى الحية في الأمة وأن تعمل الحكومة عملاً فعالاً لما فيه إقراض الشعب كمن عني الشعب أن يعمل لمعاودة الحكومة الصالحة وبالجملة أن يعمل كلاهما بل يعمل الكل للواحد والواحد للكل ويعرف كل الواجب عليه ونكران النفس والمفارقة.

وهنا خاض الكاتب في مسألة نهوض العثمانيين وأما موقوفة عني التعليم وأنا لا ننجح إلا إذا حذونا عني الأقل حذو البلاد التي كانت تابعة لنا بالأمس كمالك البلقان مثلاً وأرسلنا من شبابنا من يتعلمون العلوم الكامنة في كليات الغرب فمن أعظم نجاح تلك

الإمارات أنها ما زالت منذ زهاء ربع قرن ترسل بشائنها إلى كليات العلم حتى لا تكاد تدخل كلية في أوروبا إلا وتجد منهم كثيرين وهؤلاء هم الذين استغنوا زمام الأعمال في بلادهم ونفخوا فيها من أرواحهم ولستأ نضطر إلى الأجانب لتعليم أولادنا في بلادهم بل يجب أن نجذب رجال الصناعات والعلم منهم يؤسسون في بلادنا مدارس ودور صناعات كما نحن في حاجة إلى رؤوس أموال الأجانب لاستخدامها في أعمالنا ومشاريعنا وأن نكون في سياستنا الاقتصادية كما قال أرنست لافيس المؤرخ الفرنسي في تعريف السياسة أنها علم خديعة غيرك وأنت تظهر بأنك تحسنهم على الاعتقاد بأننا لم ندرك بأنهم خدعونا أو أنهم يحاولون خداعتنا.

نظرة في نخب الذخائر في أحوال الجواهر

(تابع)

صفحة ٣٨١ سطر الأفرنجية — أفرنجية. سطر ١٠ هو جومر — حجر — وعدم الانفصال — الانفعال. سطر ١٤ الأحمر بقوس قزح — الأحمر الشبه بقوس قزح. سطر ١٩ صفحة اسرب — صفحة اسرب سطر ٢٠ قيمة هذا — قيمة هذه. سطر ٢٤ ناصر الدين الترمذي — الزمردي.

صفحة ٣٨٢ سطر ٢ وإن ابتنع منه شيئاً — وإن ابتنع منه شيء سطر ٨ عند التدقيق — عند التدقيق في النظر. سطر ٩ لجواز أن يكون — وفي المشرق والجواز أن يكون والأولى أولى. سطر ١٤ تلك المغائص وهكذا في المشرق — المغائص. سطر ١٥ مغاص أول — مغاص أوائل. سطر ٢١ تغلب الرصاصة — الرصاصية. سطر ٢٦ الأخواني الرازيان — الأخوان الرازيان.

صفحة ٣٨٣ سطر ٤ وهو دونها شكلاً — وهو أدونها شكلاً. وسطر ٥ للنقي البياض —
النقي البياض — وإذا فاز — زاد. وسطر ٦ اذان — فان. وسطر ٧ و ٨ سقطت كلمة
النظم من آخر السطر السابع إلى آخر الثامن وأبدلت بكنته الا في السطر الثامن. وسطر
١٧ يبلغ مثقالاً ونصفاً وفي المشرق مثقال ونصف وهو غلط. وس ١٨ لتضاعف قيمته
وفي المشرق يتضاعف قيمته والأولى أولى — قياس الجواهر في نسختي المقتبس المشرق —
وفي نسختي قياس سائر الجواهر. وس ٢٥ يودع إليه مشروحة وكذا في المشرق — يودع
أليه مشروحة وهو المراد.

صفحة ٣٨٤ سطر ٧ ثم نقل إلى قدح — ثم ينقل إلى قدح وس ٩ ثم تلف فوقها عجين
— ثم يلف فوقها عجين وس ١١ غلي — أغلي. وس ١٢ سقطت هذه العبارة برمتها من
نسخة المشرق وهي (ويطنى به طلياً ثخيناً وتودع جوف عجين قد عجن بلبن حليب)
وسطر ١٣ ويخبر في التور — ويخبر. وس ١٥ مع حبتين تنكار وهكذا في نسخة المشرق
— مع حبتين تنكار. وس ٢١ أسود ولا صفرة — سواد ولا صفرة — ولا تفوت — ولا
تفوت. وس ٢٤ يرغبون لما وكذا في المشرق — يرغبون بما

صفحة ٣٨٥ سطر ٢ إذا ماسه — إذا مسه وس ٣ القيحة — القيسة. وس ٥ —
الطاووسية التي تكون في المروج وكذا في المشرق — الطاووسية اللون التي تكون في
المروج الحضر. وس ٨ الأفاعي وخاصة وكذا في المشرق — الأفاعي بوجه وخاصة —
ولدغ العقارب وفي المشرق لدغ والألى أصح. وس ١٢ المطلقة — المطلقة وهو المراد.
وس ٢٧ كذلك يحى بالشحم والالية. وفي المشرق فإنه يحى بالشحم أو لالية — كذلك
يحى بالشحم والالية وهو المراد.

صفحة ٣٨٦ سطر ٢ لدغة العقرب وفي المشرق لذعة والأولى المراده هنا. وس ٣ العين
 المنحرفة — العين المنحرفة. وس ٨ ابن أبي الاشب. وفي المشرق ابن أبي الاشعب. وس
 ١٠ من خزائن الزنج وكذا في المشرق — من جزائر الزنج — ومن نواحي بدخشان
 وكذا في المشرق — ومن نواحي بدخشان. وس ١٣ زنتها مائة رطل وفي المشرق زنتها
 مائتا رطل — زنة مانتي رطل. وس ١٩ ما غلبت عليه الوردية وفي المشرق ما غلبت عليه
 الوردية والأولى أصح. وس ٢٦ افرندي — فرندي. وس ٢٧ ومنه معزل — ومنه
 مغربي.

صفحة ٣٨٧ سطر ٥ (ويقال يشم منه مجلوب. . . إلى قوله والمستخرج منه كدر) وفي
 المشرق اختلاف عن النسخين وهذا ما جاء فيه (مشرق ١١ : ٧٦٣) (اليشب ويقال
 يشم منه مجلوب من بلاد الترك من ناحية ختن وألوانه أبيض وأصفر وزيتي وهو أفضلها
 ومن مستخرج من واد بين يسمى أحدهما قاش ويستخرج منه أبيض فائق ويسمى الآخر
 واقاش والمستخرج منه كدر) وفي المقتبس بدل قاش فاش والأولى في نسختنا. وس ١٠
 تعنيقات عليها — تعليقاً عليها. وس ١٢ الفاذههر وفي المشرق الفاذههر — الفاذههر.
 وس ١٧ وإذا نثرت — وإذا نثرت. وس ١٩ غنى درهمين كندر وكذا في المشرق — غنى
 درهمي كندر. وس ٢٠ الايايل — الأيائل. وس ٢١ في مريرها في — مرائرها. وس ٢٢
 لونه بين الخضرة والغبرة وفي المشرق لونه من الخضرة والغبرة. والأولى أولى. وس ٢٣
 البنوط منه — البنوطة منه. وس ٢٤ وسحالة الخالص بيضاء. وفي المشرق وسحالة
 الخالص — وسحالة الخالص منه بيضاء وس ٢٥ غنى سيل الاحياط وفي المشرق غنى
 الاحياط. وس ٢٦ انجرومين — انجدومين.

صفحة ٣٨٨ سطر ١ جلاء. وحيا — جلاء وحياً أي سريعاً. وس ٨ و ٩ ما كان ورنه
مائة درهم فقيته من مائة دينار إلى مائة وخمسين ديناراً وفي المشرق (١١ : ٧٦٥ سطر
٢) ما كان وزنه مائة دينار إلى مائة وخمسين ديناراً وهو خطأ ظاهر — ما كان وزنه درهم
فقيته من. . . . و سطر ٩ وجرب من ادخان وفي المشرق وجرب مع دخان هذا ما تمثل
للذهن القاصر من معارضة النسخ الثلاث استجلاء للحقيقة وحفاظة على عبارات المؤلف
الأصلية وثبتاً في النقل خشية أن ينقل شيء من هذا الكلام ويشوبه أقل تغير فيعد عن
أصله وتفوت الفائدة وما على الناقل والناسخ إلا أن يقي الأصل على علاقته ولعل القراء
يرشدوننا إلى نسخة صح والله الهادي إلى الصواب والمنهم السداد بمنه وكرمه.

زحنة (لبنان) —

عيسى اسكندر المعنوف

سير العنم والاجتماع

ضخام الأجسام

قالوا إن الأصحاء من ضخام الأجسام هم أسعد حالاً من النحاف وأن السمين يسعد
أسرته وزوجته أكثر من الهزيل فلا يهتم بالجزئيات كالنحيف ويساعد زوجه في الأمور
البيتية أما الهزيل فإنه في الأغلب يعتقد أن أعباء الأمة عليه وأنها تترك إذا لم يساعدها
ويفكر لها. وقد نصحت اللجنة التي تعرب عنها لكل فتاة تريد أن تحيا حياة طيبة مع
زوجها أن تختاره من السمان حتى يكون لها خير كفوء ولا ينقص عليها عيشها كمن
يخشى أن ينقصه النحيف.

أصل المظلات

كانت المظلات مستعملة عند الفرس والأشوريين والمصريين والرومانيين وبقيت زمناً دليلاً القوة والعظمة في كل قطر ولم ينتشر استعمال المظلات في أوروبا إلا سنة ١٦٨٠ وفيها انتشر استعمال المظلات للنظر فكانوا يؤجرونها للنسابة من الساحات والجسور ثم كثر استعمال المظلات وابتدلت ولكنها لم تتغير عن حالتها بل كان ينظر فيها إلى النظافة وجمال قماشها وحسن قبضتها.

أقدم شجرة

في جزيرة كوس من شاطئ آسيا الصغرى قامت إلى اليوم أقدم شجرة في العالم وهي دلبه اقرأ في ظلها ابقرراط مؤسس الطب تلامذته وإذا كانت قديمة حتى في ذلك الزمن فلا يتيسر أن يقال عمرها الآن أقل من ألفين وخمسمائة سنة ومحيط جذعها عشرة أمتار ولا تزال أغصانها كل ربيع تغطي بالورق وقد أنشئت لها دعائم من القرميد لجعل عليها أكبر أغصانها.

مثنو الفرنسي

من أعظم دور التمثيل في فرنسا الأوبرا والأوبرا كوميك في باريس فالأولى تأخذ من الحكومة ثمانمائة ألف فرنك إعانة سنوية والثانية ثلثمائة ألف ومع ذلك لا تكاد تجد في ميزانيتها زيادة كبرى في الدخل عن الخرج لانهما يدفعان رواتب باهظة للممثلين والممثلات. فتدفع الأوبرا للنسب الفارز ٢٢٠٠ فرنك كل ليلة أي ١٢٨ ألفاً عن ٦٤ ليلة في السنة وتدفع لغيره من الممثلين رواتب تختلف في السنة بين ٨٥ ألفاً إلى ٣٠ ألفاً وعن كل ليلة يعني فيها كاروزو عشرة آلاف فرنك وتتناول كل من العقينة مارغريت

كاراي والآنسة شنال أربعة آلاف فرنك في الشهر وهكذا لا يقل راتب الممثلة أو الممثل في الأوبرا كوميك عن ألف فرنك في الشهر.

التدخين

قالت مجلة الحياة البيعة بمناسبة الضريبة التي وضعتها ألمانيا على أنواع الدخان أن فرنسا أيضاً تفكر في وضع ضريبة ولكن على الدخان الجيد تباع بما قيمته ٥٠٥، ٩٨٨، ٩٠٠ فرنك في السنة وإن عادة التدخين تضر بالأحداث كثيراً كما أن التدخين لا يضر الضرر البالغ الذي يتصوره بعضهم فإن ملايين من البشر يدخنون ولا شيء يصيبهم سوى إنفاق دراهمهم وأن كثيراً من الفلاسفة والعلماء والشعراء لا يدخنون ومنهم من يدخنون وإن فرنسا تحسن صنعاُ لو أعطت الحق لكل وطني أن يقبض على كل صبي يراه يدخن لما في ذلك من الضرر على جسمه كما أن في انكثرا يحق لكل انكليزي أن يأخذ بتلابيب كل صبي يسير على هواه ويعند إلى الكسل ولا يستعمل في العمل الصالح قواه.

سقوط الشعر

اخترعوا في ألمانيا دواءً بسيطاً لمنع الشعر من السقوط وذلك بأن تأخذ مائتا غرام من جذع القراص (قريص) وتسحقه سحقاً جيداً وتغلي في لتر ماء ونحو نصف لتر من الخل الجيد ويصفق هذا الخل فيفرك كل يوم محل الشعر.

الصحافة

قالت مجلة النجاح ما مثاله معرباً: عرّف لاروس في معجته أن الصحفي هو الذي يشتغل بتحرير جريدة وهذا التعريف لا يخلو من إهمام وغموض وذلك أن الواجب على الصحفي أن ينظر في جملة ما يتحتم عليه النظر فيه من الرسائل الواردة على إدارته وينظمها بحسب

الأحوال الداخلية وأن يسارع في عمله ويكون مستعداً ابداً لإملاء الفراغ الذي يقضي عليه أحياناً أن يملاؤه لأن للجريدة وقتاً معيناً تصدر فيه ولا مناص من تأخيرده. فالمطلوب منه شيء كثير أكثر مما يطلب من غيره من أرباب الصناعات ما عدا الطاهي فإن صناعة الطبخ أشبه بصناعة الجرائد من عدة وجوه فيطلب إلى الطابخ أشياء كثيرة كما يطلب من الصحافي ووجه الشبه بينهما لا يخلو من فروق فإن الأول يغذي الأجسام والثاني يغذي العقول والفرق بينهما أن عدد من يقضي على الطاهي إطعامهم محدود أما عدد من يغذيهم الصحافي فكثير جداً قد يبلغ مئات الألوف.

ثم إن للصحافي جمهوراً كبيراً من الحائقين ممن لا يعرفون للشفقة معنى ولا يقصون للرأفة وزناً وأعني بهم من يعتقدون أنهم يحسنون معرفة كل شيء أكثر من غيرهم فالصحافي يقاسي الأمرين من أهل هذه الفئة.

يأتي الصحافي في الصباح إلى مكتبه فيجد أمامه بريده يغطي منضدة التحرير وفيها أدلة على قلة حظوته من الناس فمنهم من يكتب إليه ليتك تعني عناية كبرى بأحوال الجنس البلدي وآخر يقول له: كفى عن مراقبة كل ما يحدث في البلدية وثالث يقول له إن السياسة لا تعني فإذا أنت لم تعن كثيراً بالحوادث المحلية اضطر إلى الاشتراك بجريدة غير جريدتك ورابع يقول له العكس ويريده على أن يكثر من مؤازريه في المسائل السياسية والابتعاد عن سفاف أخبار المدينة. ومنهم من يقول لماذا لا تكثر من نشر الشعر فمتى عزمتم على النشر فأننا أقدم لك قطعاً من شعري ومنهم من ينتقد نشر الجريدة للنشر الراجحة في اليانصيب ويوعز إلى صاحبها أن يستعيز عنها يوم لا شيء له يملاؤه فراغه

بقطعة من رواية يجمعها رفقاً للجريدة ومنهم من يأمر محرر الجريدة أن يحذف بالمرة صفحة من تلك القصص الغرامية التي لا فائدة منها.

وهكذا يدرس الصحافي رأي قرائه من أحكامهم على مقالاته وأخباره والأنكى من ذلك أن بعضهم يوجهون هذا النقد إلى مديري الجرائد وأصحابها وهؤلاء يعتقدون أن أقل نقد يوجه إلى جريدتهم يوقف رواجها وربما يقصر حيل أجنها ويقضي على الصحافي إذ ذاك أن يفهم صاحب الجريدة وهناك المصيبة لأنه يكون في الأكثر من رجال المال فقط ولا يهتبه سواه.

ولا تنتهي آلام الصحافي بخروجه من غرفة التحرير بل أنه إذا دخل محل قهوة ليستريح لا يثبت أن يراه بعض من يعرفونه فيحومون حوله معتقدين أن الفرصة قد حانت لنصحه ويأخذون في نقد العدد الصادر ذاك النهار فإذا لم يسلم لهم بانتقادهم يزيد إلى أعدائه أعداءاً.

وبعد فإن الأرض لا يحرثها إلا الفلاح والجنود لا يقودها إلا ضابط والشعور لا يقصها ويزينها إلا الحلاق ولكن الجريدة يعرف كل الناس أن تكتبها وتتقدها. نعم الجريدة يحسن تحريرها كل طالب في مدرسة وكل فتى شاب وكل قاعد في قهوة وكل معجب برأيه سخي في عقده إلا الصحافي فكان أكل القراء يخلقون والقلم وراء آذانهم.

وهناك شؤون من مؤلمات الصحافي تعوق القرائح عن جريها وأعني بذلك إذا اخطأ ذات يوم وحمل على أحدهم فعندما تقام عليه القضية حتى إذا عاد بغضب الله عليه ويسجن فلا يرثي له أحد. وللصحافة حسنة ولكنها قليلة جداً وذلك إن اعتقاد الصحافي يكون في الأكثر أن يخدم الحضارة وبعد العقول ولكنه كثيراً ما يضطر أن يكتب غير ما يعتقد

بحسب الحال ومع أن راتبه قليل ولا يجد في الجرائد إلا عدداً قليلاً تدفع رواتب حسنة
لنصحافي فالقسم الأعظم منها يدفع في السنة لرئيس التحرير من ٢٤٠٠ فرنك إلى
٦٠٠٠ فرنك ومن الجرائد ما يستغني عن التحريرين ومع كل هذا فإن الصحافة مرغوب
فيها كثيراً بما حوت من الظواهر والمظاهر ولأن كل من خافهم الحظ فتم يقدرها أن
يعتاشوا في صناعة أخرى يرون من أنفسهم الكفاءة لإنشاء الجرائد .

الحصاد في العالم

في هر كانون الثاني يبدأ الحصاد في معظم مقاطعات أستراليا ويشرع بنقل الغلات
الجديدة في البحار كما يبدأ بالحصاد في الشهر في كل من زيلندا الجديدة وشيني وبعض
أقطار أمريكا الجنوبية. ويبدأ الحصاد في شهر شباط في مصر والهند ويقتى إلى أواخر آذار
وفي نيسان يبدأ بالحصاد في سورية وقبرص وعلى شواطئ مصر وكوبا والمكسيك وإيران
وآسيا الصغرى وفي أيار تحصد الغلات في آسيا الوسطى وإيران وآسيا الصغرى والجزائر
وسورية ومركش وتنكساس وفنوريدا والصين واليابان وفي حزيران تحصد الغلات في
كليفورنيا وأريغون والولايات الجنوبية من أمريكا الشمالية وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا
والبحر والروم إيني وروسيا الجنوبية وممالك الطونة وجنوبي فرنسا واليونان وصقلية
وكانتوكي وكانساس وكولورادو وغيرها. وفي شهر تموز يشرع في العادة بالحصاد في
ولايات الجنوب الشرقي والوسطى من انكثرا ويدوم في أوريغون ونبراسكا ومينوتا
وايوا وايلنوا وانديانا ومشيغان واوهيو وانكثرا الجديدة ونيويورك وفرجينيا وكندا
العليا وفرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا وسويسرا والبحر وبولونيا ويدوم الحصاد في شهر
آب في بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنميك وهولاندة ومانيتوبا وكندا السفلى وألمانيا

وبولونيا. وفي أيلول يشرع بالحصاد في ايكوسيا من بلاد الانكليز وأمريكا والسويد
وشمالى روسيا وبعض فرنسا أيضاً وفي تشرين الأول يحصدون الحنطة والقرطمان في
ايكوسيا والذرة في أمريكا وفي تشرين الثاني يشرعون بالحصاد في جنوبي افريقية (بلاد
الراس وغيرهما) وبيرو وشمالى اوسترااليا وفي كانون الأول يشرع بالحصاد في ولايات
لابلاتا وشيلي واوسترااليا الجنوبية.

تقويم الهواء

إذا رأيت الكواكب في الصيف تتلألأ وهي كثيرة فهي إشارة إلى صفاء الجو وفي الشتاء
علامة على البرد. فإذا فقدت لمعائها بدون أن تظهر السماء غائمة فذلك إشارة إلى المطر.
ولمعان ضوء القمر دليل على الصحو وإذا أحاطت به الهالة البيضاء فذلك دليل المطر. متى
سقط الشمس عند الشروق طاردة أمامها الأبخرة البيضاء التي تبدو عند الفجر فذلك
إشارة على أن اليوم مصحح ومتى أشرقت الشمس وبدأ معها في الأفق ضوء أصفر محاط
بالضباب فذلك علامة المطر ومتى غابت وبدأ معها لون ذهبي قليل الحبرة والسماء
صافية الأديم فذلك إشارة إلى وجود الهواء وإذا اخترقت أشعتها السحاب عند الغروب
وبدت في باقات مستطيلة تناس بعضها مع بعض فذلك إشارة المطر. والسحاب الذي
يقرب من الأرض بعد المطر يدل على الصحو والسحاب الذي يشبه كب الثلج علامة
الهواء في الصيف والثلج في الشتاء والسحاب الغليظ الأسود الذي يبدو في صورة
منحدرات وجبال إشارة إلى العواصف والضباب الذي يحدث خلال الصحو ويرتفع
تاركاً وراءه سحباً دليل رداءة الهواء ويشامر الهواء الشمالي والشمال الشرقي والشرقي
والجنوب الشرقي بصفاء الجو وهواء الشمال الغربي والغربي ولا سيما الجنوب الغربي

والجنوبي يؤذن بالمطر. وضياب الصيف الذي يبدو صباحاً يبشر بصحو النهار والضبب الذي يرتفع بدلاً من أن يتساقط ندى يدل أبدأً على المطر والضبب الذي يبدو في الوقت الرديء يدل على أن الصحو قريب وضياب الخريف مقدمة للجديد الأول ومتى أخذ البط يقفز ذات اليدين وذات الشبال في الصحو صائحاً وغاصاً في الماء وقرغ الدجاج في التراب وطار السنونو محوماً على سطح الماء فنك أن تحكم بأن المطر لا ينبث أن بهطل.

القول والأخلاق

يعرف الناس التأثير المضر الذي ينشأ من الإكثار من القناء. والبصل ما زال منذ بدء العالم يبعث متناوله على الشفقة ومن يأكثونه فجاً تجد دمهم قريبة من مآقيهم والجزر يقوي في الطفل غريزة السنب والكراث يدمث الخلق ويكثر في متناوله الصبر ويجمع كفواً للعمل في الزراعة والفجل الأسود يولد السويداء وعلى نخاف الأجسام أن يتوقوا تناول البطاطا لأنها سل الهزالي. ومن أراد تقوية عقله فعليه أن يتناول الثوم. ومن أحب السبانخ يتطال إلى المناصب العالية. ومن أكثر من العدس قوي فيه الميل إلى البحث الجهرى والأرز يكثر منه البحارة والجرجير يمنع القرعة أما النوبيا البيضاء فقد قال زولا أنها نافعة لمن يطعمون في المناطيد.

جمال الأصقاع

جمال كل صقع اليوم مورد ثروة لأهله. عرف السويسريون هذه الحقيقة وقدرها ما خصت يد الصانع بلادهم به من بهيج المناظر وجيد الماء والهواء فتوفروا على هيئة أسباب الراحة في جبالهم وأوديتهم وسهولهم وبحيراتهم وأنهارهم فقد كان سكان سويسرا سنة

١٨٨٩ : ٢ ، ٩٣٣ ، ٣٠٠ وكان يلحق الفرد منهم من الثروة ٧٢ فرنكاً ونصف ومابرح عدد السائحين الذين يأتون يزيد حتى بلغ عدد من زاروها سنة ١٨٩٩ مليونين ونصفاً وعدل ما تركه كل واحد منهم من الربح ^٩ فرنكاً فارتفعت ثروة كل فرد أواخر سنة ١٨٩٩ إلى ١٥٢ فرنكاً ونصف. وهكذا بعد أن كانت هذه البلاد من أفقر بلاد العالم أصبحت من أغناها لأنها من أجملها. ثم أن لسويسرا من معانيها مورد ثروة آخر فقد بان بالإحصاء أنها تخرج كل سنة ٩١٧ مليون فرنك من مصنوعات على أن جهل أقاليمها هو أهم مورد لغناها. ولذلك تراها تنشيء كل يوم العنارات الجديدة التي تستوفي فيها شروط الراحة والرفاهية فلا يثبت المال الذي يدخل تلك الفنادق أن يتسرب إلى جيوب الفلاحين في أصغر قرية. وفي الفنادق السويسرية من أنواع البذخ ومعدات الحضارة مالا تكاد تجد مثله في نيس ومونتيكارلو وقد كان عدد أعضاء جمعية أرباب الفنادق السويسرية سنة ١٩٠٠ ٨٢٨ عضواً ولها ٦٥ ، ٢٢٠ سريراً للنسيح وتصدر باسمها جرائد وتنشر صور بلاد سويسرا الجميلة على جدران العالم المصطنع وتفرق بالألوان كثيراً تدل السائح على ما في سويسرا من مظاهر الراحة والظرف والصحة. ولو أخذت سورية هذا المثال لما أتت بضعة سنين إلا وهي من أغنى أقطار الأرض.

تقويم العيد

السنة عند الصينيين ٣٦٠ يوماً تقسم إلى اثني عشر شهراً وينقسم اليوم إلى ٩٦ جزءاً والأعياد كثيرة عندهم وأكثرها أعياد الطبيعة والدين ففي شهر كانون الثاني عيد العذراء الصينية وفي أيار عيد حامية العميان. والعنى من أعظم أمراض مملكة ابن السماء. وفي

شهر أيلول عيد الحصاد وعيد الزراعة وعيد الرعد وفي كانون الأول عيد ولادة
فيلسوفهم كونفوشيوس وعيد الهم بوذا.

عمر الإنسان

يقول أحد علماء الألمان أنك إذا فرضت مالك في الحياة فجعلته ٨٦ سنة وقسمت الباقي
عنى اثنين يكون الحاصل ما بقي لك من سني الحياة. ويقول عالم بنجيكي أن خمسة في
كل واحد يعيشون وفي سن الخامسة ١١٩ من الألف وفي العاشرة يبنغون ٥١٢ وفي
الخامسة عشرة ٣٤٧ وفي العشرين ٢٠٧ وفي الخامسة والعشرين ١٥٦ وفي الثلاثين
١٢٩ وفي الخامسة والثلاثين ٩٧ وفي الأربعين ٧٨ ويقول أن كل ألف رجل عمر
الواحد منهم ستون ٥٥٩ يعمرسون السبعين و ١٢٠ يبنغون الثمانين و ١٧ إلى التسعين
وأربعة فقط يبنغون سن المئة من كل ألف شخص عمر الواحد منهم تسعون.

مدارس الصناعات

لكل صناعة في الغرب مدرسة خاصة بها فعدد تلامذة المدارس الصناعية في فرنسا ٢٢
ألفاً ومثل هذا القدر عدد تلامذة المدارس الصناعية أيضاً في الدانيمرك وأهلها مونيوتان
ونصف في حين أن أهل فرنسا نحو أربعين مونيوتان وفي الدانيمرك ١٢١ مدرسة صناعية
و ٥٧ مدرسة تجارية وعدد تلامذة مدارس الصناعات والتجارة في ألمانيا ٣٢٩، ٦٥٦
تلميذاً تصرف عليهم في السنة ثلاثين مونيوتان فرنك ما عدا الإعانات الأدبية والمادية التي
لا تزال تنهال عليها وكان عدد تلامذة المدارس التجارية في بروسييا فقط سنة ١٩٠٣
ثلاثين ألفاً وهذه المدارس إجبارية. ولويسرا مدارس كثيرة للصناعات المختلفة
ومدارس زوريخ وجنيف يضرب بها المثل بكثرتها وإتقانها ولنيابان ٣٨ مدرسة للصناعة

فيها أربعة آلاف طالب وفي مدارسها الزراعية ٦٢ ألف طالب وفي مدارسها التجارية ١٣ ألف طالب ومدارس المعامل خاصة بصنع الزهور الصناعية والتطريز وليس من تنميد في المدارس الصناعية في السابعة من عمره إلا وهو يعرف بصور زهرة أو حشرة أو غصناً ولا عجب من ثم إذا زادت تجارة يابان زيادة كبرى فكانت تجارتها الخارجية سنة ١٨٩٧ ٩٨٦ مليون فرنك فأصبحت سنة ١٩٠٦ مئاريين و١٩٥٠ مليون فرنك.

التكاليف أو الضرائب

قالت مجلة الاقتصاديين الفرنسية ما منخصه: من القواعد الاقتصادية المعروفة أن يكون أبناء الوطن الواحد سواءً في تحمل الضرائب شركاء في الغرم كما هم شركاء في الغنم وأن الضرائب يجب أن تفرض بحيث لا تقف حاجزاً دون حرية التجارة والضرائب مخصصة للخدم العامة في الأمة. كانت البضائع ولا سيما الغلات إذا أريد نقلها في أوروبا منذ قرن وربع من إقليم إلى إقليم تراقب أنواع المراقبة وتتخذ من أصحابها عدة رسوم ولكن رجال الاقتصاد تغلبوا على رجال السياسة وأبطلوا بالتدريج في أوقات مختلفة هذه العراقيل في التجارة علماً منهم بأن التجارة ليست سرقة كما يقول بعضهم بل هي مقايضة عن تراضي بين البائع والشاري ولأن التضامن الذي كان أول من قال به آدم سميث شيخ الاقتصاديين هو صورة من صور تقسيم الأعمال يستنزم الاختصاص في الكفاءات والتنويع في الحاجات فإذا ساءت مثلاً زراعة القطن في الولايات المتحدة تقف في الحال معامل لانكشير في انجلترا.

إبان الاقتصاديون منزلة قاعدة العرض والطلب من عالم المعاملات لأنها ميزان المقايضات بين الأمم وهي من الضروريات التي لا تسغي عنها دولة. قال كسي من الاقتصاديين أن

تجار غيرنا من الأمم هم كتجارنا أبناء وطننا فدل بهذا القول على فائدة المنافسة التجارية وأشار إلى التثبت بما ما أمكن والمنافسة اليوم من أعظم العوامل الأدبية في المدنية الغربية. وأن الخطر العظيم الذي ينالها هو الاستعاضة عن المنافسة الاقتصادية بالمنافسة السياسية. لا جرم أن الاقتصاديين ترددوا بشأن أجره العامل ولكنهم توصلوا إلى أن فرض الأجور هو عبارة عن وفاق للنقايضة وأن الأجرة لا تؤدي عن العمل بل في مقابل ما تنتجه وينشأ من أثرها وأن صاحب العمل يؤدي للعامل سلفة من أجرته وأن المتبايعين هم الذين يؤدون أجور العملة كما يؤدون الضرائب والمكوس والمتاعون هم الناس أجمعون.

أما الاختلاف بين رأس المال والعمل فليس في الحقيقة إلا اختلافاً بين المنفق الذي يهصد أن يرى أسعار الأسواق متدنية ما أمكن وبين العامل الذي يقبض أجرته ويرمي برفع الأجور وتقليص ساعات العمل إلى زيادة قيمة ما يعود عليه.

ولم يفتأ الاقتصاديون يحاربون كل من يقصدون إحداث قيم مصنعة بما يدبرونه من الوسائل السياسية والإدارية والشرعية أو يعتمدون إلى استعمال الشدة والقسوة في انفاذ ما يريدون سواء كان بوضع الضرائب أو الاعتصابات أو برفع سعر الفائدة في الافتراض أو برفع سعر السنعة الفلانية أو قيمة الشيء الفلاني ثم زيادة سعر الحنطة بوضع رسوم الجمارك عليها وخفض قيمة الخبز إلى أقل من سعر الحنطة مادته الأولية بوضع رسوم البلدية عليه.

إن الإحسان والرفق بالضعفاء يزيدان في شقاء البائسين ويكثران من عدد الخواص والمعوزين. فلاقتصاديون يوجدون الأسباب للنقضاء على الشقاء من أصله بدلاً من أن

يعتدوا إلى صوغ جل محزنة مبكية كنا يفعل من يجمعون الصدقات ليستندوا بأعمالهم أموال اخسين ولذلك يوصف الاقتصاديون بكراسة الأيدي وأولئك اخسون بساطتها. حارب الاقتصاديون الامتيازات في كل مكان وأثبتوا ما يحق لكل عامل أن يتناوله من عمله ورسموا له جزءاً يساوي أتعابه ولقد ابان آدم سميث كيف أن من يبحثون عن منفعتهم الخاصة يضمنون النجاح العام، ولا يستطيع مالك رأس المال أن ينتفع به إلا بأحد وجهين إما ان يستعمله في أمور تأتي بربح أو أن يقرضه لأناس يستخرجون منه أرباحاً يعطون لقاءها فائدة ولا يأتي رأس المال بربح إلا على شرط أن يلقي به للاستثمار أو أن يصرف في سد حاجة ويدفع عنها لما يقابلها وأجرة رأس المال هي في الحقيقة مقياس الانتفاع من استخدامه.

قال الاقتصاديون: أن على المرء تبعة عمله فلا تعتبر الحكومات أداة بسيطة وآلة صماء فالرق والعبودية ممنوعة وحرية العمل أشرف من الاستعباد فيه وإن العامل إذا عمل مدفوعاً بعامل الربح يعمل أكثر مما إذا عمل مكرهاً وأثبتوا أن لا شيء بلا مقابل ولكل عمل ثمن وأجرة. وإن المسائل الاقتصادية تتجلى بالربح والخسارة وهناك العيار الذي قلنا يختلف مما ليس لغيرها من المسائل. فالأفراد يعملون ويقتصدون لأن الحكومات لا تخضع لناموس الربح والخسارة بل تنفق جزافاً وتسرف إسرافاً. ورجال الحكومات والبلديات في العالم يقدرون فائدة أعمالهم ببعض الآراء الوطنية والسياسية والدينية والصحية والإدارية والشخصية فقد كان الناس في القديم عندما كانوا يتهكون بوضع الضرائب يتعززون بأن ما يؤخذ منهم يعود عليهم حتى قال فولتير في القاموس الفلسفي أن ملك انجلترا يأخذ كل سنة مليون ليرة انكليزية وهذا المليون يعود بمرته بإنفاقه له على

أمتة ولكن الاقتصاديين ردوا هذه الأوهام وقالوا أن الخراج يستولي على كل شيء من الدخل والخرج والوفر ولرؤوس أموال أرباب الأملاك والمباشرين للأعمال الكبرى والعامل وأن هاته الطبقات لو توفر لها ما تقاضته منهم الدولة لتنفق على الموظفين والجند لكانوا هم أيضاً أنفقوه ولتيسر لهم أن يقتصدوا منه جانباً ينفقونه في تحسين أراضيهم وأعمالهم وربما كان للعامل من هذا الوفر رأس مال له ولا يزال إلى اليوم أناس ممن يزعمون أنهم على شيء من العلم والتجارب يقولون في الأعمال الغير المثمرة وماذا يضر ذلك ما دام المال ينتقل من يد إلى أخرى. يقولون هذا وهم لا يدركون أن الأموال التي تصرف في أعمال عامة لا فائدة منها مثل الطرق البحرية بل هي منقاة في المياه وضائعة ضياعاً لا يرجي معه رجعة وأن الإسراف في هذا المال يقلل من رؤوس الأموال الموجودة كما يقننها الحريق والغريق.

يقتصد الاقتصاديون من مال الحكومة لأن مالها هو مال المكنتين. قالوا أن الخراج والجباية الباهظة تقضي على نشاط العاميين. فالعضاني لا يعمل متى علم أن الباشا سيسلبه ما ظهر من أرباحه. الخراج لم يغن قط أمة وإن أحسن الكرم الذي تعطف به حكومة على محكومين أن تتناول من المكنتين أقل ما يمكنها من الجباية والوزائع. والمكنتون هم العالم أجمع. ولذلك قال كبار الاقتصاديين أن الحكومة في اسبانيا هي الجرح النगर في جسم البلاد.

قال الاقتصادي شارل دونويه أن الحكومة هي المغنية في الحقيقة ونفس الأمر. وليس معنى هذا أنها هي التي تصنع المصنوعات بل لأنها تحمي الصانع في صناعته وتزيد في تأمينه وراحته فإذا حصلت أرباحه وقدرتها على ما يجب من الاعتدال يقوم غيره من أرباب

الاقتدار ويجمعون رؤوس أموال ويحسنون الزراعة. فإغناء الحكومة هو توزيعها الثروة في الناس على نصاب العدل وذلك لأن الحكومة كما قال المشار إليه إذا ارتفعت حمايتها ولم تمد جناح أمنها على ما يجب تفقد الثروات قيمتها الحقيقية وتقطع القوى المنتجة عن الإنتاج وتصاب بالانحلال والحمول وعلى العكس إذا نشرت الأمن فإنها تزيد قيم جميع الخيرات وتزيد جماع القوى نشاطاً ومضاءً وإخصاباً وكلما ارتقى الأمن والثقة يزيد النجاح وكلما زاد النجاح يزيد الناس رغبة في رفع أعلام الأمن ويرون الحاجة أكثر ما تكون مساساً إليه.

فالحاجة إلى الراحة أعظم من الحاجة إلى نشر كسنة المدنية ورفع شأنها والناس يتقاضون عدلاً سريعاً خالصاً تراعى فيه الحرية مع التشدد في المحافظة على النظام والراحة حتى لا ينقص أحد في استعمال قواده وما تملك يدها والواجب أن تكون هذه الراحة باقية عامة وأن لا يكدر من يصرفون قواهم ورؤوس أموالهم في المشاريع في مقايضتهم وأعمالهم مثال ذلك أن ألمانيا تضرب الضرائب على القمح واللحم لتفري بذلك كبار أرباب الأملاك وتوطد أقدام الفلاحين في قراهم.

فتأخذ منهم جنداً قوياً تقابل به الجند الذي تدعوه إلى حمل السلاح من فستاليا وولاية رين وهم أهل صناعة يدفعون لها الضرائب التي تعدل بها القوى في الانتخابات. والحكومة المجرية تريد أن نشئ صناعات لتهيء عمالاً لمن لا عمل له من الفلاحين الذين يتكاثر عددهم اليوم بعد اليوم لتحول بذلك دونهم ودون الهجرة. والاقتصاديون يبحثون عن عامة الوسائط التي يراد بها معاونة العنم على نجاحه والصناعة على الترقى وللزيادة في تنقل الناس والبضائع والأموال قائلين أن صاحب رأس المال يحتاج إلى أمرين الحرية

ليستخدم رأس ماله فيما يعرّد عليه بفائدة أكثر وللأمن لينال ثمرة رأس ماله فإذا أخطأ الحرية يضطر في الغالب أن يضع رأس ماله في أعمال قليلة الربح وربما يؤدي به ذلك إلى الخراب وإذا أعوزته الأمن يبحث لا عن الموارد النافعة له أي عن أنفعها له ولغيره بل ينقل رأس ماله إلى مكان آخر أو لا يستعمله إلا في أمور محدودة.

علامات الموت

فقدان العقل والشعور والإحساس في الجند ووقوف التنفس والدم وغرور العينين هي العلامات التي تثبت الموت ولكن هذه الإشارات قد تخطئ. وقد أبان أحدهم مؤخراً طريقة لمعرفة الميت ممن لم يزل فيه نسيب من الحياة لا ينتظر معها تفسخ الجثة حتى يتحقق ذهاب الروح منها وهي أن يجعل المائت في هواء غير متحرك ويوجه أحد أعضائه إلى الأرض ويرسل عليه نار تمس طرف الجند ممياً خفيفاً فتنفخ الجند بعد ثوان انتفاخاً يسمع صوته ويكشط هذا الانتفاخ مكاناً من الجند كالقرش وتنقبض بقايا البشرة المكشوفة حوالى المكان المحروق ولكن بدون سائل. وإذا جرب ذلك في شخص حي تحدث في بشرته بشرة ذات مادة مائية لا بشرة غازية كما في شخص ميت وعليه فإن البشرة الغازية لا تنشأ إلا بعد ووقوف مجرى الدم وبذلك يتحقق موت الشخص.

أفضل الغذاء

من المسائل الصعبة اختيار أفضل الغذاء فقد قال علماء الفرنجة أن لحم الخنزير إذا أكثر منه الإنسان تسود الدنيا في عينيه وعنى العكس في مستعمل لحم البقر فإنه يورثه قوة ونشاط. والظاهر عنى ما قالوا أن لحم الخروف أشبه بنحم الخنزير أما لحم العجل فمن خواصه أن يلبك القليل من النشاط الذي فيك. والزبدة والبن الحليب تجود بتناولها

صحة النساء. ومتى أكثرنا من تناول الزبدة تورثنا كسلاً وعلى رجال الأدب وأرباب الأقلام والصناعات النفيسة وكل من يصرفون من دقائق الدماغ كثيراً أن يكثروا من تناول التفاح وأن يجتنبوا البطاطا فإنها كالزبدة تورثهم الكسل. ومن الغريب أن لحم الحنّام هو أتعب اللحوم للنعدة والجسم حتى أن أحد الانكليز تراهن مع أحدهم على أن يتناول لحم الحنّام ثلاثين يوماً فلم تقض عشرة أيام حتى عراه العياء وطلب أن يطعم شيئاً من المرق.

النوم

تقول مجنة المطالعات البيّية أن مرض النوم أو النوم الذي اكتشفه العلماء عند بعض الشعوب في أواسط افريقية ليس من الأمراض الحديثة إذا نظرنا إلى الحوادث المشابهة له التي أوردتها قدماء المؤلفين فقد نص علينا بليوس القديم أن الفتى ايسنيدس نام ذات يوم في كهف سبعاً وخمسين سنة بدون أن يلتفت وأنه بعد أن انتبه من نومه عاش إلى سن المئة والخامسة والسبعين. وليس بنينوس هو الوحيد في بابيه فهناك السبعة نيام في افيس (أصحاب الكهف) الذين لم ينجوا من الموت خلال الاضطهادات التي وقعت على المسيحيين بأمر دسيوس إلا باعتصامهم في مغاور ناموا فيها ١٩٦ سنة على ما يؤكدون. وهذا النوم أشبه بداء النقطة ولكنه لا يشبه النوم الذي تكلم عنه سوانينوس من فيرون في كتابه وصف بلاد المسكوب قال أنه يوجد شعب يسكن لوكوموريكو وهي ناحية واقعة فيما وراء بلاد السارماتيين فيظهرون أنهم ماتوا منذ اليوم السابع والعشرين من شهر تشرين الأول كالضفادع لشدة البرد القارس في بلادهم وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر نيسان يستيقظون وتعود إليهم حياتهم ولسكان هذه البلاد صلوات مع الأمم

الجارورة وهم يدخرون عندما يقرب نومهم السنوي مؤونتهم من الطعام فيأتي جيرانهم عند ذلك يحثون عنهم تاركين بضائع وميرة على سبل المقايضة بشئ متساو ومتى عادت إلى النوكوموزيكين حياتهم يطالبون بحقوقهم إذا لم يجدوا المقايضة متناسبة وتثور بينهم خصومات ربما أدت إلى حروب بين هاته الشعوب المكويية. وما ندري إذا كان هذا الشعب لم يوجد له أثر إلا في محينة الكاتب الإيطالي أو أنه اختلطوا عليه مع اليرابيع التي ترقد في الشتاء.

رماد الإنسان

يقول الأمير كان أن المرء يبلغ غاية الصحة في سن الأربعين ويقدر أن ثمن الرجل الشجاع الذكي العامل بألفي ليرة أما الكيماويون فيقدرون أن تثنى جسم الإنسان مؤلف من ماء ممزوج بسوم فنطقتا تساوي ألفاً من بيض الدجاج والهيدروجين الذي فينا يكفي لنفخ منطاد غير قليل وإذا أضيف إليه الكربون يتأتى أن يضاء به شارع طوله خمائة متر طوال الليل ففي أحشائنا ما يساوي ١٩ فرنكاً من غاز الاستباح وفي هذا الكربون مادة كبيرة للتصوير يستخرج منها ٧٨٠ دزينة من جيد أقلام الرصاص فإذا قطعت رجل إنسان يستطيع أن يستخرج منها مادة قلم الرصاص تكفيه لكاتبته ما دام حياً. وفي الإنسان مادة فوسفورية تكفي لبل ٨٢٠ ألف من الثقاب أي عود الكبريت وفيه من المواد الدهنية ما يكفي لعمل عشر دزينات من الشمع الجيد النهم إذا استخدمناها لعمل الحساء وهذا يتأتى لنا تمحيده بالمنح الذي تحويه أنسجتا وهو نحو عشرين ملعة.

ضهان الأغلاط

في الغرب شركات لضان العقارات من الحريق وضمان الأسرات من موت أبيها وضمان الغلات من البرد وضمان السفن من الأنواء وضمان الأجسام من العوارض وها قد أسس الألمان اليوم شركة لضان الإنسان من غلط يرتكبه موظفو البرق في كذبة أو كذبات تؤدي إلى تحريف الرسائل البرقية تضرر بذلك صاحبها أو لم يتضرر.

الأجراس

أعظم أجراس الكنائس في العالم جرس كنيسة الثالث في موسكو وزنه ٦٧٠٨٣ كيلو غراماً وجرس بلدة موسكو ٦٥ ألف كيلو غرام والجرس الإمبراطوري في كولونيا زنته ٢٨ ألف وجرس السفوايارد في باريز وزنه ١٦٨٨٨ وجرس عمانويل في كنيسة نوتردام في باريز ١٢٠٠٠ وجرس سيدة الحماية في مرسينيا ٨٠٤٤ وجرس كليمان في جنيف وهو من الفضة وزنه ٢٠٧٠ كيلو غراماً.

العدد المشؤم

يتشاءم عامة الإفرنج من العدد ١٣ وهذا التشاؤم كان قبل الميلاد عنوان الموت فكان العدد ١٣ في ورق اللعب الذي يستعمله أهل بوهيميا للتنبؤ عن المستقبل عبارة عن ميكل عظام مسنح بمنجل ولهذا الرمز أثر عند بعض اليهود فلا ينفذ به عاتهم ويسح لكبار حاخاماتهم أن يذكروه مرة في السنة. والعدد ١٣ هو العدد المقدس عند أهل المكين وقبائل يوكاتان إذ كان في بلادهم ثلاث عشرة حية تعبد وتمجد. وللععدد المذكور شأن في الأساطير التروجية وغيرها.

نبات يضيء

كل يوم يكتشف علماء النبات خواص لم تكن معروفة لبعض النباتات فبالأمس اكتشفوا نباتاً يغذى بالبحوم ونباتاً يطير كالمنطاد والطيارة الهوائية واليوم اكتشفوا في برازيل في مقاطعة سان جواكيم من أعمال ولاية سان باولو نباتاً يضيء كالكهرباء أو كمنصباح الغاز والبتروول والشموع ويسميه أهل تلك البلاد نبات الأوربية ويتنافسون فيه فيجعلونه في أصاصي وأواني ويزينون به القصور فيظل أياماً يعث نوراً يكفي لأن يطالع المطالع به جريدة وكتاباً. قالوا أنه من فصيلة النباتات التي لا زهر لها وإن كان لا يشبه الفطر.

غابة عظيمة

في شاطئ العاج إحدى مستعمرات فرنسا في افريقية غابة مساحتها ١٢٥ ألف كيلومتر مربع لم تمسها يد بشر وفيها من أنواع الحراج والنبات من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ نوع منها خمسون نوعاً يبلغ عنو شجرها خمسين متراً وجذعها من متر إلى مترين ونصف وعدد الأشجار التي يبلغ طولها من ٢٥ إلى ٤٤ متراً من ١٥٠ إلى ٢٠٠ وهناك من أنواع الأشجار أغربها وفي ظلها من النباتات أدهشها ومن جنتها المطاط والنخيل الذي يستخرج منه الزيت.